

29



حسن البغدادى

(مسرحية)



تأليف : چيمس الروى فليكر

ترجمة وتقديم : محمود محمد مكى



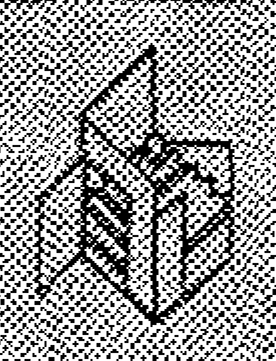
الهيئـــة العامة
لقصور الثقافة

آفاق عالمية
نوفمبر ٢٠٠٣
٣٩

مسرحية

« حسن البغدادى »

تأليف : چيمس الروى فليكر
James Elroy Flecker
ترجمة وتقديم : محمود محمد مكى



الهيئة العامة لقصور الثقافة

آفاق عالمية
مسرحية «حسن البغدادى»

تأليف : جيمس الروى فليكر
ترجمة وتقديم : محمود محمد مكى

- تصميم الغلاف : محمد بغدادى
- لوحة الغلاف للفنان : « كاى نيلسون »
مستوحاة من قصص ألف ليلة
- المراجعة اللغوية : عبد الحميد عيسى غازى
- الطبعة الأولى : ٢٠٠٣
رقم الإيداع : ١٦٧٨٦ / ٢٠٠٣
الترقيم الدولى :
I.S.B.N: 977 - 305 - 591 - 5
- الطباعة والتنفيذ :

الشركة الدولية للطباعة
المنطقة الصناعية الثانية قطعة ١٣٩
شارع ٣٩ - مدينة ٦ أكتوبر
ت : ٨٣٣٨٢٤ - ٨٣٣٨٢٤٢ - ٨٣٣٨٢٤٤
e-mail: pic@6oct.ie-eg.com

آفاق عالمية : سلسلة شهرية تعنى بنشر ترجمات مختارة

المراسلات : باسم رئيس التحرير على العنوان التالى :
١٦ أ ش أمين سامى - القصر العينى - رقم بريدى : ١١٥٦١

مقدمة المترجم

فليكر وحياته القصيرة

قليل هى المصادر التى تتحدث عن فليكر وحياته ، فليس هناك ما يروى غُلة الباحث ويبل صداه إلا بعض المعلومات المتناثرة فى بعض الموسوعات أو الرسائل الأكاديمية ، ربما كان مَردّ ذلك الى قصر حياةِ فليكر وكذلك قلة كتاباته رغم جودتها وتميزها ، ثالثًا وهو الأهم ربما لأن فليكر فتن بالشرق وعدّه ملهمه ومصدر وحى الإبداع لدى كثير من الأدباء ولذا لم يجد من يدافع عنه أو ينصفه بعد رحيله ، مع ملاحظة أن كل مسرحياته نشرت بعد وفاته ، وعلى حد علمى لم تخصص رسالة أكاديمية لأعمال فليكر لتلقى الضوء على الأصول الشرقية لها خاصة مسرحيته « حسن » .

مرت حياة فليكر كأنها البرق الخاطف لتربط بين نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، كما يربط البرق بين الضوء والظلام ، فهو شاعر وكاتب دراما إنجليزى تأثر كثيرًا بأسلوب المدرسة البرناسية الفرنسية . . اسمه هيرمان الروى فليكر كان مولده فى ٥ من نوفمبر ١٨٨٤ فى لوشام lewisham بلندن وتقول الموسوعة الأمريكية أنه غيرّ اسمه الأول هيرمان الى چميس أثناء دراسته فى كلية ترينتى فى إكسفورد . وعندما تخرج فى عام

١٩٠٦ شرع فى دراسة العربية والفارسية فى كيمبريدچ وعينه على العمل القنصلى ، الذى بدأه بالفعل عام ١٩١٠ حتى عام ١٩١٣ بين القسطنطينية وبيروت ، حيث اضطر الى الإستقالة عن العمل بسبب اعتلال صحته وكانت وفاته فى ديفوس يوم ٣ من يناير ١٩١٥ ولم يكن قد جاوز الثلاثين إلا قليلاً . مات فى ربيع العمر مثل كيتس وشيلى .

وقد عارض فليكر الأسلوب التعليمى الوعظى فى الكتابة وبحث عن الأسلوب الأدبى الجميل المصفى وكانت حياة الشرق بسحرها هى ذات التأثير الأكبر عليه وقد انعكس ذلك فى أعماله بصورة جلية .

ومن أشهر أعمال فليكر الشعرية « جسر النار » (١٩٠٨) . ثم عمله الشعرى الرائع « الرحلة الذهبية الى سمرقند » The Golden journey to Samarkand (١٩١٣) « وقبر فى إنجلترا » (١٩١٥) ، وقصائد أخرى جُمعت بعد وفاته عام ١٩١٦ . وقد كتب مسرحية « حسن » بين عام ١٩١٣ ، ١٩١٤ ولكنها لم تنشر الا فى عام ١٩٢٢ أو عام ١٩٢٣ فى قول آخر ، وان كنت أرجح التاريخ الأول لأن سكوير كتب مقدمة لها بتاريخ ١٩٢٢ وكذلك المسرحية الثانية دون چوان لم تنشر إلا في عام ١٩٢٥ . أماً فى مجال الرواية لم يكتب فليكر إلا رواية واحدة هى « ملك الساندر » وقد وُصفَ بأنه آخر البرناسيين أما مسرحية « حسن » التى نحن

بصددها فتدور أحداثها حول حسن الحلوانى الذى يعيش فى بغداد ويعشق الشعر ويقرضه وقد أصبح نديمًا للخليفة هارون الرشيد بعد أن أنقذه من الموت عندما كان الخليفة يتجول متنكرًا فى ليل بغداد ومعه وزيره جعفر وإسحق ومسرور السياف . بعد ذلك استمرت صداقة حسن مع الخليفة هارون ولكن ما لبث أن اختلف معه فغادر بلاط الخلافة عندما لم تفلح مساعيه فى إنقاذ العاشقين الشابين (رافع ونرفانا) فشجب إعدام الخليفة لهما .

وقد اشتهر فليكر بطريقته المتمردة على التقاليد وبولعه باليونان وحضارتها وبالشرق وسحره ، حتى أن زوجته كانت فتاة يونانية . وعرف كذلك بأسلوبه التصويرى الذى يعتمد على الصورة والمشهد .

وإذا استعرضنا الخطوط الرئيسية للمسرحية . فهى تتكون من خمسة فصول . فى الفصل الأول الذى يتكون من مشهدين يطالعنا « حسن » سنه حوالى ٤٥ سنة ، وهو يشكى وجده وغرامه الى صديقه سليم ، من امرأة جاءت تشترى من دكانه فملكت عليه فؤاده فأصابه سهم الغرام ، يخبره صديقه سليم أن هذه المرأة هى زوج الساحر الذى أعدم فى العام الماضى على أبواب المدينة . وعندما يسأله النصيحة للوصول الى قلبها يخبره سليم بان زكريا اليهودى يستطيع أن يحتال فى ذلك بان يصنع لها مشروبًا سحريًا تشربه فتأتى اليه حبوًا ، ولكن ذلك يكلفه مبلغًا

من المال ، بينما يدخل حسن ليحضر الدنانير لسليم ليعطيها لزكريا اليهودى الساحر يفتح الشباك ، فيرى سليم ياسمين فيتعلق بها قلبه ، عند ذلك يقرر أن يستحوذ عليها لنفسه .

وبعد أن أوصل حسن الشراب السحرى فى حلواه الى ياسمين عن طريق خادمها نرى «حسن» تحت شباك ياسمين يغنى ، فتطل عليه فى دلال وتسأله لمن يغنى فيخبرها أنه يغنى لها . ولكن عندما يسألها الوصال تجيبه بالنفى متعللة بأنها ليست وحدها . فيسألها من عندك ؟ أمك ؟ فتصدمه بالحقيقة المرة بأن معها صديقه سليم الذى أرسله ... ويتطارح سليم وياسمين الغرام وهما فى الشباك فى حين يشتعل حسن نارًا ويصب جام غضبه عليهما .

فخرّ حسن مغشيًا عليه بجوار النافورة . كان الليل قد أرخى سدوله فخرج الرشيد ووزيره جعفر وإسحق ومسرور وهما فى ثياب تجار انقطعت بهم السبل فجاءوا يطلبون المبيت ، ولكن الحقيقة أنهم أرادوا أن يعرفوا سر هذه الدار التى تنبعث منها الأضواء والعزف والغناء . وبعد أن تنادوا وتحادثوا مع صاحب الدار أنزل لهم دلوًا وسُحِبوا واحدًا تلو الأخر ما عدا إسحق الذى تخلف خوفًا أو كرهًا غير راغب فى مشاركة الخليفة فى تلك المغامرة . كانت الدار مرتفعة عن الأرض وكان الغناء والطرب فى أعلى الدار وهى ليس لها باب ... وبينما يهم إسحق

بالابتعاد يعثر على حسن مغشيًا عليه بجوار النافورة ومعه عوده واستفاقه إسحق حتى أفاق ، ثم يستعجل الخليفة ومن معه إسحق فينزل الدلو ليصعد فيه إسحق ولكن إسحق يضع « حسن » بدلاً منه فى الدلو .

فى الفصل الثانى ، الذى يتكون من مشهدين أيضا ، نرى الخليفة هارون مع ندمائه داخل الدار وقد شاهد الرقص والخمر ، وعلم من ملك المعدمين أن هذه هى الليلة الموعودة التى سيهاجم فيها رافع بغداد ليسقط الخلافة ثم يسأل الخليفة رافعًا عن قصته وخبره فيحكى له رافع أنه جاء من الجبال كردستان بحثًا عن حبيبته نرفانا التى اختطفها حاكم الموصل وأرسلها لتباع فى أسواق بغداد ، وعندما وجدها فى سوق النخاسة اشتراها ، ولكن عيون الخليفة جاءوا فى هذه اللحظة فأخذوها قهرًا لتنضم الى سبايا الخليفة وحريمه وهنا قرر رافع الانتقام وأقسم أن يضع الخليفة داخل تابوت ثم يسمره حيًا .

حكى رافع ذلك وهو لا يدرى أنّ الذى أمامه الخليفة ووزيره . ولكن رافع ساعة الصفر قرر سجن الخليفة والمضى قُدمًا فى تنفيذ مخططه فى اسقاط الخلافة . بعدها يبدأ الخليفة فى التفكير فى كيفية الخروج من هذا المأزق . وعندما أعيت الحيلة جعفر ومسرور سأل الخليفة حسن ، الذى لم يكن

يعرفه ، فأشار حسن على الخليفة ان يكتب رسالة ويسقطها من الشباك ليلتقطها من يوصلها الى حراس القصر ليأخذوها وينقذوا الخليفة ويحفظوا بغداد من الدمار .

يلتقط الرسالة متسكعان فى الشارع وهما بين اليقظة والنوم تحت شرفة الدار حيث سجن الخليفة ومن معه ولكن المُتَسَكِعَينْ لا يعيران الرسالة اهتمامًا الى أن يأتى إسحق ومعه رئيس الشرطة بحثًا عن الخليفة بعد أن استبطآه ، فيأخذ الرسالة ويحضران اللازم لإنقاذ الخليفة وإنقاذ بغداد التى كانت على وشك أن تدمرها الثورة التى يقودها « رافع » ومعه عشرة آلاف مستول ومعدم فتُحبط المؤامرة ويُقضى على رافع . أما ياسمين فترى « حسن » فتعرف أنه فى طريقه الى المجد فتلقى اليه بوردة . وفى ربط متقن للأحداث وتداخل موزون وبناء محكم يتقابل حسن مع الخليفة ، وترى ياسمين حسن وهو يصعد سلم المجد .

وبعد ذلك يرد الخليفة الجميل الى حسن فيجعله نديمه وينتقم من رافع ونرفانا ولكن حسن يرفض هذا الانتقام ويتهم الخليفة هارون بالظلم .

أما الفصل الثالث فيتكون من ثلاث مشاهد فى قصر الخليفة عن غلمان رافع ويهبهم لحسن . وأثناء الحوار يهاجم حسن الخليفة المهدى (والد الرشيد) ويصفه بأنه طاغية لانه صلب المثَّال الرومانى الذى صنع تمثال الطفل العارى والنافورة .

كانت حجة المهدى هى خوفه أن يصنع لغيره مثلما صنع له . [جزاء سنمار] .

وبعد أن يصطلح حسن مع الرشيد يؤخذ الى الدار التى وهبها له الخليفة ، وهى دار مجهزة بكل ما لذ وطاب ، وتكون المفاجأة أن يجد ياسمين فى فراشه وتقول له « هيت لك » ويدور بينهما حوار رائع كله شاعرية ورقة . يحاول حسن أن يقتلها إنتقامًا لما فعلت معه ، ولكن لا يستطيع أن يفعل ذلك فيعود الى أحضانها .

فى الديوان يقدم الولاة والعلماء بين يدى الخليفة هارون الرشيد . يحضر رافع بين يدى الخليفة ويسأله عن جريمته فيقر « رافع » بها ويعترف ويظهر شجاعة منقطعة النظير فى مواجهة الخليفة . ويطلب الخليفة إحضار نرفانا التى من أجلها أراد رافع أن يدمر بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية ، وتفاجأ نرفانا بوجود رافع ويتبادلان الحب والعشق فى حضرة الخليفة . وبعد أن يرفض الخليفة توسلات نرفانا للصفح عن رافع ، وحجته أن رافع لو تمكن منه لقتله شر قِتْلة بأن يسمّره حياً فى التابوت .

وأخيرًا يخيرهما الخليفة بين أمرين كلاهما أمر من الاخر : أن تبقى نرفانا مع الخليفة زوجة له ويذهب رافع الى حال سبيله ، أو أن يموتا معًا بعد أن يقضيًا معًا يومًا من الحب حتى غروب شمس اليوم التالى ولكنهما فى شجاعة نادرة يختاران الأمر الثانى .

ويتسلل حسن فى الفصل الرابع الى زنزانة رافع ونرفانا ولكنه يجد إسحق فى طريقه لنفس الهدف ويحتالان الى أن يرشدهما الحارس الي مكانهما . كان غرض حسن ان يستمع إلى حديث الغرام بين رافع ونرفانا وفى المشهد التالى نرى ونسمع حديثًا من أرق وأروع أحاديث الغرام ويختاران أن يموتا معًا بعد تشاور ولكن عندما يأتى الحارس ليسألهما عن قرارهما النهائى يقولان الموت فيصرخ حسن « لا » . . . . « لا » بينما يحبذ إسحق ذلك .

وتصل الأحداث الى ذروتها فى الفصل الخامس والأخير :
- وفيه كيف أن حسن أثناء حكم الإعدام على الحبيبين حاول جاهداً أن يشفع لهما ، ولكن الخليفة رفض رفضًا مطلقًا بل وزاد الأمر انه أراد أن يكون تنفيذ الحكم فى الديوان الرسمى ويشهد حسن نفسه تنفيذ الحكم بين الحضور ويثور الخليفة ثانية على شفاعة حسن متحججاً بأنهما كانا لديهما الاختيار وكان بإمكانهما النجاة ولكنهما رفضا وفضلا يومًا من الحب مع الموت على الحياة مع الفراق .

وتذهب توسلات حسن هباءً . ولذلك يصف الخليفة بأنه طاغية وجبان ، ويقرر حسن أن يرتحل عن بغداد مع إسحق الذى كسر عوده واعتزل الغناء ، ورحل مع القافلة المسافرة الى سمرقند . وقبل نهاية المسرحية نرى ياسمين التى تمثل الغانية اللعوب وقد تخلت عن حسن لأنها عرفت أنه ترك الخليفة

ونعيمه ويضيف مشهد الأشباح جواً أسطوريًا على المسرحية ليربط بغداد بالسحر والجمال أيام عز دولة خلافة الرشيد . تلك هى الخطوات الرئيسية لأحداث المسرحية ، وقد بنيت على الخيال المحلق الذى أرست دعائمه ألف ليلة وليلة فجعلت من الرشيد أسطورة كأنه فى الخيال والقصة أحداثها لاتمت للتاريخ بشئ إلا بعض الأسماء أو الشخصيات ولذا كان لابد من الإشارة الى ألف ليلة وليلة فى الآداب الغربية وخاصة الأدبين الفرنسى والإنجليزى .

وسأبدأ بالإشارة الى ألف ليلة وليلة فى الأدب الفرنسى لأن فليكر نفسه يقر بأنه اعتمد على ترجمة ماردروس ، وقد بدأ تسلل قصص ألف ليلة وليلة الى العقل الغربى مبكرًا فكانت ترجمة أنطوان جالان (١٦٤٦/ ١٧١٥) بين سنة ١٧٠٤ وسنة ١٧١٣ بعد فرنستها . وبعد قيام الثورة الفرنسية وقدوم حملة نابليون لمصر زاد الاهتمام بالشرق ، فكانت ترجمة كازميرسكى الذى ترجم بعض قصص ألف ليلة وليلة الى الفرنسية عام ١٨٤٦ . وبعد ذلك جاءت ترجمات منها ترجمة شربنو ١٨٥٣ وهى حكاية « شمس الدين ونور الدين » وقصص أخرى . وتوالت الترجمات بعد ذلك لتظهر على المسرح مثل قصة « على بابا والأربعين حرامى » ومسرحية « لو كنت ملكًا » لأدولف دينرى (١٨١١ - ١٨٩٩) وفى عام ١٨٩٩ جاءت ترجمة چوزيف

شارل ماردروس وأطلق عليها ترجمة حرفية كاملة لألف ليلة وليلة وهى تختلف عما سبقها من الترجمات والذى ميز ماردروس من غيره أنه ولد فى القاهرة وارتحل بين العواصم العربية فى سوريا ولبنان ومصر لمدة ربع قرن ، وبذلك خبر الشرق وتشبع بمعالمه السحرية .

كان يتحدث اللغة العربية بطلاقة كبيرة واستمع الى الرواة وهم يقصون الأدب الشعبى ، ورغم أنه كان متخصصًا فى الأدب إلا أنه عمل على بعض السفن التجارية طبيبًا مما أعطاه فرصة للسفر والتنقل رغم كبر سنه وكان ماردروس تلميذًا وفيًا لـ : ستيفن ملارميه (١٨٤٢ - ١٨٩٨) ولماردروس أسلوب متميز ورائع حاكى فيه الأسلوب الشرقى تلك كانت لمحة عن الليالى فى الأدب الفرنسى وقد بدأت بها لسببين . أولاهما أن فليكر نفسه اعتمد على الترجمة الفرنسية لجالان وثانيًا أن هذه الترجمة أسبق من الترجمة الإنجليزية وقد أثر كثيرًا أسلوب ماردروس أما ترجمة الليالى فى الأدب الإنجليزى فجاءت تالية لترجمة جالان إذن فهى دخلت الإنجليزية متأخرة الى حد ما مقارنة بالأدب الفرنسى منذ شرع بيرتون (١٨٢١ - ١٨٩٠) بمساعدة صديقه الدكتور « شتاينهاوزر » فى عدن فى ترجمة هذا الأثر الخالد وصدر منه المجلد الأول عام ١٨٨٥ . وقد انتفع كثير من الكتاب بتلك الترجمة . ثم كانت ترجمة ادوراد لين (١٨٠١ -

١٨٧٦) من أفضل ترجمات ألف ليلة وليلة فاحتفظت للنص الأصلى بمعناه وظلاله وأضاف لها شروحًا وهوامش فسر الغامض منها . فجاءت عملاً ضخمًا صدر بين عامى ١٨٣٨ و١٨٤١ وقد سبقت هذه الترجمة ترجمة تمت فى بداية القرن الثامن عشر حيث تمت هذه الترجمة عن ترجمة جالان الفرنسية عام (١٧٠٤ - ١٧١٧) . أما لين نفسه فقد زار مصر عام ١٨٢٥ واستقر بها لمدة ثلاث سنوات . ثم رجع الى بريطانيا وعاد ثانية عام ١٨٣٣ الى عام ١٨٣٥ حيث ارتدى الزى المصرى وتكلم العربية واختلط بسكان القاهرة ، ومما عمق ذلك أنه كانت تعلو ملامحه مسحه عربية .

أما ادوارد هنرى بالمر (١٨٤٠ - ١٨٨٢) الذى توفى فى مصر ، فله كتاب عن حياة الرشيد ، أشهر خلفاء بنى العباس .

أما ريتشارد بيرتون (١٨٢١ - ١٨٩٠) فقد زار مصر عام ١٨٥٢ وذهب منها الى الحج ، وقد أنجز ترجمه كاملة لألف ليلة وليلة ، امتازت بأنها طابقت الأصل الى حد كبير .

القصة فى الف ليلة وليلة

كما رأينا استندت مسرحية « حسن » على ألف ليلة وليلة وقد احتوت المسرحية على حكاية حسن وظروف صداقته للخليفة هارون وكيف اتخذ حسن نديمًا له بعد أن أنجاه من الهلاك ، ثم

حكاية حسن وياسمين ، وأخيرًا حكاية نرفانا مع رافع والثلاث حكايات تشابكت وتعانقت لتخلق حبكة مسرحية بالغة الروعة . وقد وردت حكاية شبيهة بحكايات حسن فى الليالى ، ولكن حكاية نرفانا ورافع لم يكن لها أصل فى الليالى وانما أضافها الكاتب لتضفى على المسرحية سحرًا وجمالاً ورومانسية واستشهاداً فى سبيل الحب . أما حكايات المهدى مع المثال فلها أصل فى الليالى .

حكايات الحمال والثلاث بنات

وهذه الحكاية فيها تشابه مع حكاية حسن وياسمين والخليفة عندما تسور الدار التى فيها رافع . وتقول الحكايات أن حمالاً كان فى السوق . . . . أشارت اليه سيدة رأى جمال عينيها من تحت النقاب ، أن يحمل متاعها . ودارت به كل السوق وهى تشترى من هذا وذاك ثم أوصلها الى دارها . وهناك انفتح الباب عن فتاة أخرى فى غاية الجمال ، ودخل فوجد دارًا رائعة فيها بركة ونوافير جميلة . ووجد فى الدار ثلاث فتيات منهن التى قادته من السوق الى الدار وعندما أعطى أجره رفض الخروج وسألهن البقاء بحجة أن هذا النعيم الذى يرفلن فيه يحتاج الى رجل ، فاشترطن عليه ألا يسأل عما لا يعنيه . فوافق وبقى معهن فعزفت الموسيقى . . .

ولما كان الخليفة وجعفر ومسرور متنكرين فى ثياب تجار

من طبرية (وليس من البصرة كما فى المسرحية) فحكوا حكايتهم وقالوا إننا تجار نزلنا ببغداد ولكننا تهنا عن الخان الذى نبيت فيه . فاشترطن عليهم «ألا يسألوا عما لا يعنيهم» فوافق الرشيد وصحبه على الشرط ولما جلسوا للشرب والمنادمة ورفض الرشيد أن يشرب كما فى المسرحية ، قامت إحدى الجوارى فسقت الخليفة شرابًا غير الخمر . . . . .

هذه هى الحكاية كما فى الليالى ، وهى تشترك فى الخطوط الرئيسية الآتية مع حكاية (حسن وياسمين) وكذلك الخليفة :-

١ - حسن الحلوانى والحمال كلاهما من الطبقة الدنيا فى المجتمع .

٢ - تعرف حسن على ياسمين عندما جاءت تشترى منه ، فى حين تعرف الحمال على الفتاة فى السوق أيضًا .

٣ - سمع الخليفة العزف والغناء فى الدار فاحتال للدخول وقدم نفسه وصحبه على أنهم تجار من البصرة فى حين أنهم كانوا فى الحكاية فى الليالى من طبرية .

٤ - دخل الخليفة وصحبه بعد أن اشترطن عليهم كما فى المسرحية شرطًا قبل الخليفة به .

حكاية المهدى مع المثال الرومانى وجذورها فى الليالى ..

تقول الحكاية التى تحمل العنوان

«حكايات وزير الملك يونان والحكيم دوبان» ومحتوى

الحكاية أن الملك مرض مرضًا شديدًا فأصابه البرص فى جسده . فعجز الأطباء عن شفائه وابرائه . ولكن تصادف أن دخل مملكته حكيم يدعى « دوبان » واستطاع أن يعالج الملك دون أن يتجرع دواء أو يكتحل بدهن . ولما أفلح الحكيم جعله الملك نديمه ولكن ذلك أوغر صدر وزيره الحقود ، فاوعز الى الملك بالتخلص من ذلك الحكيم بحجة أن الذى أستطاع أن يعالجه بلا دواء يستطيع أن يتخلص منه بسهولة ، ولم يفعل ذلك إلا لأنه جاسوس . ولما مثل الحكيم دوبان بين يدى الملك ليقتله ولما لم تفلح شفاعته وتوسلاته . سأل الملك أن يبقيه يومًا يستطيع فيه أن يوصى ويوزع ما عنده من أمانات ، ولكن كان قصده أن يدبر طريقه ينتقم بها من الملك بعد أن قتله ، وفعلا نجح فى ذلك حيث وضع ما يشبه السم فى الكتاب الذى أهداه للملك ، فمات الملك بعد قتل الحكيم . . . وهى حكاية طويلة ولكنها تختلف عن حكاية المهدى والمثال الرومانى فى أن الانتقام فيها متبادل ، حيث استطاع الحكيم أن ينتقم لنفسه بالحيلة والعلم فى حين أن المثال الرومانى تلقى جزاء سنمار .

منهجي في الترجمة المسرحية ...

كان لقائى مصادفة مع مسرحية « حسن » لفليكر ولم أكن قد سمعت أو قرأت عنها ولا عنه قبل ذلك وعندما عثرت عليها فى أسواق الكتب فى جلاسجو (اسكتلندا) لم تمر أربعة وعشرون

ساعة إلا وكنت قد أتيت عليها قراءة . بعدها قررت ترجمتها . وقد اتبعت فى الترجمة منهجًا فيه بعض الخصوصية بالنسبة لتلك المسرحية لعدة أسباب . أولاها أنها مسرحية حكايتها ذات موضوع عربى ، جميع الشخصيات عربية تقريبًا ، والمكان الذى تدور فيه الأحداث أثير الى أنفسنا جميعًا وهو بغداد ، وثانيًا أن الموضوع مرتبط بألف ليلة وليلة حتى فى تعامل فليكر مع شخصية هارون الرشيد اعتمد على ألف ليلة وليلة ولذلك رجعت لقراءة الليالى كلها ولم أرجع إلى كتب التاريخ لأن الحكاية تكاد تكون خيالية وليس لها أساس من الواقع التاريخى ، فحاولت أن التمس ظلال المعانى فى هذا العمل الموسوعى ما وجدت الى ذلك سبيلاً وكان هناك عدد من النقاط لابد أن نضعها فى الحسبان وهى .

١ - لجأت الى تعريب الشخصيات معتمدًا على قواميس اللغة أولاً ، وعلى تشابه البناء الصوتى للكلمة العربية والإنجليزية ثانياً ، فكانت ترجمة بعض أسماء الشخصيات كالآتى :-

Pervaneh نرفانا

Rafi رافع

وهما شخصيتان محوريتان فى المسرحية

[العاشقان الشابان]

Willow صفصاف

Junipar	عرعر
Adler	كافور
Tamarisk	طرفة

وهم غلمان [عبيد] فى المسرحية

٢ - وحدث شئ شبيهُ بذلك مع الأماكن الجغرافية فحاولت أن أرجعها الى أصلها جاهدًا .

٣ - أما أسماء التوابل والبهارات فقد أرهقتنى فى الترجمة كثيرًا فحاولت أن أثبت البعض وعربت البعض الأخر .

٤ - حاولت أن أرد بيت الشعر الذى ورد على لسان عنترة معتمدًا على ديوانه المحقق مع الإشارة الى المعنى الأصلى - كما ورد فى الإنجيليزية - فى الهامش .

محمود محمد مكى

المقدمة

بقلم : سكوير J. C. Squire

(١٩٢٢)

ولد چيمس الروى فليكر فى نوفمبر عام ١٨٨٤ م ، كان الطفل الأكبر للكاهن فليكر الحاصل على درجة الدكتوراه فى اللاهوت والناظر السابق لمدرسة « دين كلوس » فى تيشلتينهام درس أولاً فيها وبعد ذلك فى ابنجهام ثم فى كلية ترينينتى فى اكسفورد . وكلية كايوس فى كمبريدج حيث درس اللغات الشرقية وعينه على العمل القنصلى . بعد أن اجتاز الامتحان ، أُرسِلَ إلى القسطنطينية (حيث مرض فى البداية) فى عام ١٩١٠م . ثم رجع إلى المصحة الإنجليزية ، وأرسل إلى سميرينا .

فى مايو ١٩١١ تزوج الآنسة هيل سكايا ديرسى وهى فتاة يونانية . وبعد أن أمضى ثلاثة اشهر إجازة فى كورفو أُرسل إلى بيروت . فى مارس ١٩١٣ مرض ثانية ، فأُرسل إلى سويسرا ، وفى ٣ يناير ١٩١٥ توفى فى ديڤوس .

طبع أربعة دواوين شعر وأربعة كتب نثرية . أهم أعماله مسرحية « حسن » ، ولم يمتد به العمر ليراها مطبوعة أو ممثلة على المسرح . عندما طبعت مسرحية « حسن » بعد ثمانى

سنوات من وفاة مؤلفها ، كان ثمة إجماع على أن أصدقاء فليكر لم يغالوا فى مدح مميزات المسرحية بوصفها مسرحية يمكن تمثيلها على المسرح . لقد تحفظ عليها بعض النقاد وقالوا إن الجزء الأخير منها محزن بصورة لا يمكن احتمالها على المسرح . كانت مسرحية « حسن » فى البدء كأنها ملهاة هزلية ، ثم تطورت فكرة فليكر الأولى إلى المسرحية كما هى لدينا الآن فهى فكرة واقعية فى حد ذاتها ومثل على الطرق الغريبة التى تعتمل فى أذهان الفنانين ، وربما - فى أذهان من يكتبون منهم للمسرح بخاصة .

وبداية فكرة المسرحية أنه عندما التحق فليكر بالخدمة القنصلية ، أُرسِلَ إلى القسطنطينية ، ثم ذهب إلى بيروت . ومن يوليو إلى أغسطس ١٩١١م ، قضى ثلاثة أشهر نقاهة فى كورفو حيث عمل كليةً فى التفتيش والفحص فى العمل القنصلى باللغة التركية . كان فى صحة جيدة و روحه فى غاية الشفافية ، والمناظر من حوله فاتنة ، والحياة رغدة هادئة . كتب كثيرًا . كتبت زوجته : « فى الكوخ الذى عشنا فيه اعتاد أن يقضى ساعات طوال فى الحديقة تحت شجرة برتقال فارعة طويلة ، يجلس على كرسى له ذراعان ، بالتأكيد كان هذا الكرسى شاهدًا على بقايا الاحتلال ، والقلم فى يده وحوله سوسة الخشب الصغيرة وخوذته ذات القلنسوة البنية معلقة فى أحد ذراعى

الكرسى ، كانت تخرج هذه السوسة من مخبئها وتبدأ فى عمل حفرة جديدة بمنقارها المنشارى » .

ومن بين القصائد التى كتبها : « ياسمين » و « سعد أباد » و« الأسم همام » و « الرحلة الذهبية » و « فى فيشا [1] » و« السنديانة والزيتونة » وكان من بين الكتب التركية التى قرأها مجلد صغير يتضمن مسرحيات هزلية . ترجم واحدة منها . كانت مرتبطة بمغامرات حسن ، الرجل الساذج ، الذى يستمتع أصدقاؤه بإلقاء نكات غير محتشمة عليه بمساعدة ساحر يهودى .

فليكر نفسه استهل حكايته بالساحر ، ثم خطط حكاية قصيرة يكون فيها زكريا اليهودى وشرابه السحرى مركز الاهتمام . لم تعد الآن موجودة المخطوطة التى كتبها فليكر . ربما استنتج أسلوبها من افتتاحية المسرحية .

قرأ فليكر بشغف الترجمة الفرنسية لألف ليلة وليلة التى قام بها الدكتور ماردروس والسطور المهداه على صفحة العنوان هى مثال لأسلوب ماردروس المباشر وروحُه التى فهم بها فليكر كوميدياه . كانت توجد فى الحكاية امرأة اسمها « ياسمين » . وبعد أن كتب هذا العنوان ، كتب : « ياسمين : غزال » وهى

---

(١) فيشا : Phaeacia أو أرض الفياكس Phaeace فى الأساطير القديمة هى الجزيرة التى تحطمت عليها الأوديسا واكتشفها ناوسيكا Nausica (المترجم) .

الأغنية الجميلة التى تظهر الآن فى مسرحية « حسن » ولكنها فى الأصل تم تأليفها دون إشارة إلى المكان الذى تمت فيه كتابة الدراما . أوحى الاسم بالأغنية ، فأوحت الأغنية بالمسرحية ، ولا حقًا فكر فليكر فى كتابة مسرحية كوميدية من ثلاثة فصول تكون فيها ياسمين الشخصية النسائية الرئيسية , وكتب فى الوقت نفسه تقريبًا « ديوان الغرب » وهى القصيدة التى طبعت بعد ذلك « مقدمة » والتى ظهرت فيها أولاً الرحلة الذهبية إلى سمرقند

وفى يوليو أرسلت مسرحيته الكوميدية ذات الفصول الثلاثة إلى « لندن » لتطبع هناك ، وأنا أكتب الآن أمامى مخطوطة الفصل الأول منها . إنها مليئة بالشخبطات ، ولذلك أصبحت النسخة النهائية للمسرحية ، وعلى صفحة العنوان هذه الكلمات « مسرحية فى خمسة فصول » . ونفس التغيير تم بالنسبة للصفحة التالية للعنوان . وظهر العنوان الأصلى كالأتى :

قصة حسن البغدادى

وكيف جاء ليقوم بالرحلة

الذهبية إلى سمرقند

أمثولة

« وكذلك يضحك ، فيسقط على قفاه (ألف ليلة وليلة) »

« يتصلب من الضحك الشديد »

(نفس الترجمة الإنجليزية)

الخليفة : هارون الرشيد

جعفر : وزيره

مسرور : السياف

إسحق : مغنيه ونديمه

حسن : الحلوانى

سليم : صديقه (صديق حسن)

يعقوب : صديقه (صديق حسن)

زكريا : الساحر اليهودى

طُلبِ : غلام زنجى

إشراق : سيدة

سكر
غصن البان ــ جوارى
زهرة الآس

بعض هذه الشخصيات اختفت قبل أن تصلنا النسخة النهائية ، رافع ونرفانا اللذان ارتكزت على قصتهما « البروفة » الأخيرة من المسرحية ليس لهما وجود هنا . يبقى المشهد الأول مكانه كما قلنا . وبقيت معظم الحوارات الأصلية كما هى . افتتحت المسرحية الآن ، ولكن الحوار بين حسن ويعقوب « صديقه ، بلحيته القصيرة ، وفى نفس العمر ، يشبهه كثيرًا » .

جاء سليم متأخرًا ، أعطاه فى النسخة الأخيرة من المسرحية كل حوار يعقوب وكل شخصيته ، فكان صديق واحد يخدم بدلاً من صديقين .

زكريا اليهودى ، فى المسرحية التى بين أيدينا لا يظهر على المسرح . يسرد سليم أفعاله فحسب ويخرج ليأخذ منه الشراب السحرى . فى الكوميديا الأصلية يُحضِر سليم زكريا وهو « شخص طويل ملتحٍ فى عباءة فضفاضة مزركشة عليها رسوم من عالم النجوم وقبعة مربعة » يطلب اليهودى ثمنًا باهظًا لجرعته ، ولكن حسن لا يستطيع أن يدفع !

حسن : وا أسفاه . لو بعت كل أملاكى ، دكانى وسريرى وسجادتى وغلاية السكر الجديدة التى تغلى فى سرعة لا أستطيع أن أجمع خمس المبلغ . ألا توجد مساعدة يا مولاى ، لأبناء الفقراء ؟

سليم : المبجل زكريا ، دعنى أدافع عن صديقى ، دفعًا شفويًا :

لا تغلق باب خزانتك
اعطِ توابلك للفقراء
اعطِهم بكرم .
أما ، إذا أضعت مخزنك الصغير

ربما تأسى بمرارة
لذا أغلق باب خزانتك .

زكريا : يا بنى ، حلاوة فصاحتك لطّفتْ حِدة هذا الحل . اسمغ :
يا من ولدت تحت نجم سعيد
أ من أجل عشرين قطعة ذهبية ،
أمن أجل عشرين قطعة ذهبية فقط ،
أصنع لسيدتك جرعة من السحر الأسود الذى
سيحضرها لك حبوًا حالاً إلى سريرك .
وهناك فى التو ستعرف متع الجنة الثلاث وهى :
القرب والوفاء والدوام

سليم : (إلى حسن) : تدفقت إليك رحمته مثل بهاء الصباح ، اشكر الله يا ولدى وامنحنى الثقة وأعطه الدنانير .

حسن : يا الله ، عشرون دينارًا .

سليم : (با حتقار) : يا الله ، عشرون دينارًا ! عشرون دينارًا من أمير الحب . ثمن عجل صغير لحب ليلى .

حسن : عشرون دينارًا مبلغ كبير لرجل فقير مثلى ، اكمل جميلك يا سيدى ياسيد المعجزات ولا

تجعل يومى ظلامًا الأمر الذى يبدو لك هينًا ويبدو لى عظيمًا .

زكريا : عشرون دينارًا ، عشرون دينارًا ، أتتخيل أننى أرغب فى دنانيرك العشرين هذه وهى اقل من ثمن زجاجة عندى . ولكن قانون السحر أن شراب الحب لن يكون له مفعول لمن لا يضحى . .

حسن : البخيل يرغب أن يشترى الشراب ولكنه يعبر عن شكوكه فى جدوى هذا الشراب .

سليم : خذ حذرك يا حسن فزكريا ربما يحولك إلى حمار ويضربك وهو يطوف بك المدينة .

ينصرف زكريا فى كبرياء ويخبر « سليم » أن يحضر « حسن » إلى منزله فى اليوم التالى ، ويقول حينئذٍ « ورب يعقوب سأجعله يسقط على بطنه مذهولاً مخدرًا . . . . سأتعشى مع الخليفة ، وداعًا » ،تقرع ياسمين على الباب كما فى النص التالى ، وبقية الفصل حدث فيه تغيير طفيف . لم يعش فليكر طويلاً بعد ذلك خلال اقامته فى سوريا . ولم يفكر فى جعل الكوميديا المهملة شيئًا أكثر اتقانًا .

وبعيدًا عن أى شئ آخر لم يعد خيط خياله القديم يسيطر على مزاجه بعد ان قذفت سماء الشرق الملتهبة بكل شئ لتشفيه

من علته ، ولكن عالم الإنسانية حوله كان حقيقة بلا رحمة ، كان على حافة الإنهيار العصبى ، شعر بالغربة . ولما انهارت صحته ذهب إلى فندق بيلڤير فى ليسن Leysin وهناك فى منتجعه ، حيث فُرضتْ عليه الراحة ، شرع فى كتابة مسرحية « حسن » ثانية بنشاط وعاطفة منقطعَى النظير . والمسرحية التى بين ايدينا ، كتبت فى الواقع بين رعب مصحات « ألبين » حيث مئات المرضى المتزاحمين فى المبانى السيئة تحت وهج قاس كقسوة الشرق . فكانت المسرحية تعبر عن مزاج وليد الواقع القاسى الذى حوله . وجد فليكر فى مسرحية « حسن » متنفسًا لأفكاره ، كما وجد أحيانًا ملجأً فى الجمال الصافى الهادى لقصائده الغنائية فى هذه المرحلة مثل « الظُهْر الأزرق » و « السفن القديمة » وفى أربعة أو خمسة أسابيع من يوليو وأغسطس من عام ١٩١٣ م ، أعاد صياغة المسرحية بصورة كاملة وكتب معظم ما بين يدينا ، وألحق بها « الرحلة الذهبية » خاتمة .

ذكر فى المسرحية السابقة اسمًا مجردًا لجارية اسمها « ليلى » ، سُرِقت من ملك المعدمين لتُضم إلى حريم الخليفة ، ربط خيال فليكر بين هذه الفتاة وتلك الحكاية ، وأبدع دون شك فى البداية فجاءت صياغته لقصة رافع ونرفانا وفيها صورة من القسوة المفرطة و الشجاعة النادرة وجمال الحياة ، وتطلب ذلك كله صورة تراچيدية أجبرته طبيعته الشاقة فى الحقيقة على

تجسيدها . عندما انتهى من المسرحية رآها واحد أو اثنان من مديرى التمثيل و وصلت فى النهاية إلى السيد بازل دين ، ثم إلى مساعد المخرج بيربوم ترى فى المسرح الملكى ، طلب السيد دين من فليكر أن يختصر المسرحية لتمثل على خشبة المسرح . وخلال هذا الطلب كان فليكر وزوجه فى مونتانا فى أعلى وادى الرون . وفى عام ١٩١٣ ، انتكست صحة الشاعر فى يوم عيد ميلاده انتكاسة ألزمته الفراش ثلاثة أشهر ، اختصر خلالها نص المسرحية فى شجاعة منقطعة النظير . وفى مارس ١٩١٤ م ذهب إلى لوكارنو ، ثم إلى ديفوس حيث فرغ من مراجعتها وكتابة الحوار وأتم التعديلات المختلفة على النسخة التى أعدها للمسرح .

قرب نهاية عام ١٩١٤ ، بعد أن اندلعت الحرب ، استلم من السيد دين النسخة المعدة للمسرح وتأكد من إعادة الكثير مما حذفه وكان مشهد الأشباح الرائع بخاصة ، وكان يخشى ألا يتسامح معه المنتج ، إذا اعتقد أن إنتاجه ممكن بالتفصيل ولم يستطع غير فحص الفصل الأول فحسب ، وكان مسرورًا أيضًا للتعامل الجيد مع نصه المسرحى .

مخطوطة المسرحية ، مثل كل مخطوطات فليكر مليئة بالتصحيح ، الذى طال كل جملة تقريبًاإلى جانب التغيير والإضافة النهائية ولم يشطب غير جملة واحدة طويلة . على

الرغم من أنها كانت جيدةإلا أن سبب شطبها كان منطقيًا جدًا ، وستكون المسرحية هى الأسوأ لو تمت إعادة ما تم حذفه . واُخْتُصِر جدًا المشهد الذى فى دار رافع .

أثمر جهد وتدقيق فليكر جُملاً رائعة وصفحات أروع ، ورغم كل هذا التغيير جاء أسلوبه رشيقًا . حذف الكثير من المشهد الأول فى الفصل الثانى ، وهو مشهد جيد على الرغم من أنه حوارتأملى بين « حسن » و « الخليفة » المفدّى ، وثمة مثال من فقرة كاننت فى الأصل بالرغم أن هذا تم بعد تعديلات لفظية كثيرة ، وكما هى الآن بعض الجمل هكذا :

الخليفة : مؤكد أنك كريم المحتد ولم تعرف أصلك الحقيقى فكيف يتسنى لحلوانى أن يكتسب فن الشعر ؟
من أين لحلوانى أن يزين حائطه بسجادة صنعت فى بخارى ؟ فكنت خبيرًا ثقة ، من خلال تجربتك فى القصر ، فى الجواهر والنمنمات والحرير المزخرف . ولكنى لم أرَ رجلاً مثلك يهتم بالشعر والسجاد . وعندما تطأ السجادة ، فإن عينك الفاحصة تعرف نوعها ، وعندما تسمع قصيدة ترفع عينيك إلى النجوم لتسمع اللحن .

حسن : ليس هناك سر صَاحبَ ميلاد نديمك ، كان أبى حلوانيًا ، وأبوه كان كذلك، إن كان لديك شك

فانظر إلىّ . أليس لدى القامة والوسامة وشكلى الذى يُعزى إلى النبلاء ؟

الخليفة : ولكن منذ متى كان شِعْرك - ومنذ متى كان سجادك ؟

أ كان لديك معلم ؟

حسن : مولاى ، لم أجلس عند قدمى حكيم ولم أرضع الحكمة من شفاة الفلاسفة . أما الشعر ، فتعلمت أن أقرأه وأن أسمعه .

وفى النسخة النهائية المعدة للطبع فإن كل هذا أُختصر إلى :

الخليفة : أى رجل أنت للشعر والسجاد !

عندما تطأ قدماك سجادة ، فإنك تسقط عينيك على الأرض لتعرف نوعها ، وعندما تستمع إلى قصيدة من الشعر فإنك ترفع عينيك إلى السماء لتسمع اللحن.

من رأى حلوانيًا مثل هذا ! متى تعلمت الشِعر ، يا حسن ؟

حسن : فى تلك المدرسة العظيمة ، سوق بغداد . . .

المشهد الذى فى جناح « حسن » كان طويلاً بالنسبة للحكاية . كان لدى « حسن » سجادة من

بخارى جئ بها إلى منزله ، جماله المتواضع لم
يختلط بفتنة هدايا الخليفة ، ولكن « حسن »
توقف ولم يعلق على السجاد الأصفهانى . فما
تناسق الألوان فى وجود صديق ؟

الحذف الكبير فى مشهد القصر أضاع جانبًا من الحبكة .
وكما هو فى المسرحية الآن فان « سليم » لم يُر ثانية بعد مشهد
نصره المخزى على « حسن » فى شرفة « ياسمين » ، عرفناه جيدًا
فى الفصل الأول وبعد ذلك اختفى تمامًا . ربما بقى فى
الكوميديا الأصلية شخصية مهمة .

ولكن ما تبقى من الكوميديا الأصلية هو الافتتاحية وليس
هناك مكان طبيعى « لسليم » فى المشاهد الأخيرة من المسرحية
والتى جاءت بصورة أساسية . فقد ضمه إلى انتفاضة المعدمين ،
وفى ردهة الخليفة ، يتوسل لحسن لينال العفو عنه . أعطى
الخليفة الفرصة « لحسن » فعليه أن يهتبلها . ولكن « حسن » فى
جدال مع نفسه انه من الظلم للآخر أن يدين الخليفة المعدمين
لأن أحدهم هرب من قدره المحتوم ، وخاصة أن وغدًا مثل
« سليم » رفض أن يفتدى « حسن » بكلمة حق . كان هذا يثقل
على ضمير « سليم » أحيانًا . والدليل على ذلك أنه أرسل صديقه
إلى مصير خَلّفه تعسًا . هذا الحدث كله حذفه فليكر . وربما كان
مدركًا أنِ تلك الحكاية كانت فقط لكى يُحضر « حسن » مرة

أخرى ويجعل الحبكة أكثر تعقيدًا ، ولابد أن يكون أدرك أنها « مؤكد » أضعفت دفاع « حسن » فى مشاركة المشاهد الوجدانية له ، ولذلك أثقل على « حسن » بمأساة تامة بدون تلك الإضافة ، حتى لو شك أن « حسن » الذى أوجده سيتصرف هكذا سواء من منطق ضعيف أو بدافع مما ترسب طويلاً فى ذهنه ، وفى كل الحالات فإن صفحات كثيرة مؤثرة حذفت بجرة قلم ، وأدى ذلك إلى تنقيح المسرحية وتقوية بنيانها . وحُذفت واحدة من أكثر تعقيدات الحبكة فى المسرحية .

هناك الفقرة التى أخبر فيها الخليفة ، فى اللحظة الأخيرة قبل تعذيب رافع ونرفانا وموتهما ، « حسن » إذا كان يتألم حقيقة بسبب معاناتهما ، فإنه يستطع أن ينقذهما بتطوعه أن يحل محلهما ، فيما يتصل بطمأنينته فتحقق بخلوده فى الشعر .

حذف فليكر هذا بكل دقة ، أدرك أن ذلك لابد أن يضعف جلال نتيجة المباشرة المهيبة ، وتلك كانت معارضة « حسن » للبديل الذى لا يطاق والذى لن يُلقى ضوءً جديدًا على كل أحوال شخصيته ، بينما تقلل ، بصورة غير عادلة من جاذبيتها التى كانت .

ظلت المسرحية حتى نُشرتْ ، بناء على طلب هؤلاء الذين تكفلوا بإنتاجها على خشبة المسرح .

ذلك الإنتاج الذى تأخر طويلاً قد أصبح قريبًا جدًا ، فتلك

الكثرة من القراء الذين اطلعوا عليها حديثة مطبوعةً ، وتلك القلة التى قراتها من فترة طويلة مضت وأولئك اقتنعوا فى الحال أن فليكر قد كتب رائعة ، ورائعته هذه كانت تنتظر بشغف تجربة اختبار المسرح وقال فليكر نفسه حين كتب للسيد فرانك سيفرى : « جزء من المسرحية يسبب لى رعبًا كبيرًا هو جزء الأشباح - ألا تعتقد أن تأثير القصيدة فى النهاية يجب أن يكون عظيمًا ؟ أحببت أشباحى - افترض ذلك لأن روحى الشعرية تحب الصورة الجميلة فى المسرحية فوق كل شئ» .

تلك كانت رؤيته لها عندما وقف خارجها وشخصّها بناءً مسرحيًا ومؤكد ذلك هنالك فى مسرحية « حسن » توجد بعض التأملات الجميلة جدًا والمرعبة للغاية وقد تخيلها الشاعر الإنجليزى لخشبة المسرح ولكن لو تم ذلك بإدراك اللون والصوت اللذين يراهما ولم يسمعهما - واللذين فكر فى تحقيق الإحساس بجمالهما .

وقد تحدث فليكر عن عظمة وعمق هذا التأثير ، وعرف جيدًا أن موضوع مسرحيته التراجيدى قد مزج « الابتِهاج بالمعاناة » والعشق الفياض بالطموح والعذابات والتى كان فى غاية الشجاعة عند مواجهتها حتى ولو لم يستطع أن يتغلب عليها ! ذلك أنه سجل هنا صراعًا كبيرًا و عنيدًا بين الأحلام الكبيرة والروح وكأنها حلقة فى صرخات نرفانا بعد بعد اختيارها

المرعب والشديد الأهمية : « أسمع ، أسمع ! اهبطْ من خلال الأفلاك يا داعى الخلود ! »

« أموت خشية العار ، يا أحباب أموت خشية العار . »

* * *

كتبها : سكوير J. C. squire

الشخصيات

١) حسن : حلوانى .

٢) الخليفة : هارون الرشيد .

٣) إسحق : مغنٍ .

٤) جعفر : وزير هارون الرشيد .

٥) مسرور : السياف .

٦) رافع : ملك المعدمين .

٧) سليم : صديق حسن .

٨) قائد الجيش .

٩) رئيس الشرطة .

١٠) على .
١١) عبده .
غريبان (لا يمكن وصفهما)

كافور .
صفصاف .
طَرَفة .
غلمان

١٢) بواب منزل ياسمين .

١٣) الفيلسوف الصينى .

١٤) الدرويش .

١٥) شبح النافورة .

١٦) الحاجب .

١٧) حُراس السجن .

١٨) نرفانا .

١٩) ياسمين .

شخصيات أخرى :

سفير - مصارع - خطاط - مهرج - أشباح - راقصات - متسولون - جنود رجال شرطة - أخرس - حاضرون - متسكعان .

الفصل الأول

المشهد الأول

حجرة خلف دكان فى بغداد القديمة ، فى الخلفية مرجل يفور . فالدكان دكان حلوانى والسكر يتم غليه . الحجرة تضم أثاثًا بسيطًا خلف السجادة ، الأثاث قديم ولكنه جميل ، وبعض السجاد فارسى (ذى تصميمات هندسية رُسمتْ عليه حيوانات متوحشة) وكُتبتْ بعض آياتٍ من القرآن الكريم على الفرش . الجزء الخشبى الآيل للسقوط مغلق فى أحد الجوانب من ناحية حجرة المعيشة ، فبدا كأنه دكان .

يجلسان القرفصاء على السجادة وجهًا لوجه

حسن ، حلوانى ، فى الخامسة والأربعين من عمره ، ممتلئ الجسم ذو شارب ، يضع على رأسه عمامة ويرتدى ثوبًا رماديًا مبقعًا بالدهون .

سليم ، صديقه ، شاب مليح وجهه صبوح ، متأنق فى ابتذال سوقى .

حسن : (مهتزا على السجادة) : آه ! آه !

سليم : سبعًا وثلاثين مرة وأنت تكرر نفس الملاحظة ، فانت نموذج لمن لا يجدون .

حسن : (اكثر حزنًا من ذى قبل) : آه ! آه !

سليم : أأصابتك حمى ؟ أتشعر بضيق فى صدرك ، أم
أن بطنك تقرقع ؟

حسن : (يتنهد بشدة) : آه !

سليم : أهذا هو تاجر الحلوى ، ذلك الوجه النكد ؟
يا مسمم الأطفال ، من الأفضل لك أن تترك
الأحزان
وتبوح بكل شئ ، وتفهم جيدًا قول عنترة :-
إن كان يسعدنى الزمان فإننى
فى هـــمتى بصـــــروفـــه أرزاء

حسن : (منحنٍ على السجادة) : ما جميل إلا الله .
فأبو أوس يغنى فى روعة :
دهتنى صروف الدهر وانتشب الغدر
ومن ذا الذى فى الناس يصفو له الدهر .
ومع ذلك فأنت تعلم يا سليم أننى فى حالة
حب .

سليم : فى حالة حب إذن ، فلماذا تجلس نائحًا على
السجادة ألا توجد حسناوات لدى الحلاقين
أو أضواء حب فى الأسواق ؟

حسن : (بغضب) : أمسك عليك لسانك يا سليم ،
أو اغرب عني .

أنا جاد حين قلت إننى فى حالة حب .
فقسوتك لا تناسب مزاجى هذا . مع أننى أعرف جيدًا حسن الحلوانى ،ومع هذا يمكن أن أحب بإخلاص ، كحب « مجنون ليلى » ، وبالتأكيد فإن التى ملكت علىّ قلبى ليست أقل جمالاً من « ليلى » .

سليم : (بسخرية) : واأسفاه ! لقد أخطأت حين انتقلت من الخاص إلى العام ، ولم توضح نواياك .
ولكننى لن أذكر المجنون فالمجنون كان شابًا وأنت شيخ ، وكان أميرًا وأنت حلوانى ، وكان نحيفًا من شدة الوجد وأنت أكثر بدانة من ذوات الأربع . والتى لن أذكرها – لعن الله رعاتها .

حسن : وحتى لو كنت كما قلت يا سليم ، تاجرًا كهلاً قبيحًا بدينًا . أليس لدى سبب مقنع لأحزن وأتألم وأنا على سجادتى ، أو كيف أحقق منى قلبى ؟

سليم : اسمعنى يا حسن ، لماذا أصبحت فى العام المنصرم « شخصاً » مختلفًا عن حسن الذى كان؟ من وقت لآخر تتحدث كثيرًا وأنت بين الكاس والطاس كأنك شاعر مجنون . ثم

اشتريت عودًا وسجادة فاخرة لدارك . أخشى عليك أن تفقد الآن رشدك عندما استمع لحديث الحب من رجل جاوز سن الطيش .

حسن : ربما كذلك أيها الشاب . وفى الحقيقة أعتقد أننى سازج . هذا ابتلاء من الله .

سليم : أخبرنى من تكون ؟ فربما لا تكون بعيدة المنال كما تحلم ، إنْ لم تضع عينيك على ابنة الخليفة ، أو على ملكة الجن نفسها .

حسن : أسمع يا سليم ، سأخبرك بأمرى . منذ ثلاثة أيام خلت ، جاءت هنا امرأة تشترى منى حلوى ، يبدو من ملابسها أنها أرملة ، طلبت منى أن أتبعها إلى دارها بعلبة الحلوى . واحسرتاه يا حسن ! استطعتُ أن المح عينيها من تحت النقاب ، كانتا مثل نبعين فى بستان الخليفة ، أما شفتاها تحت النقاب فوردتان نبتتا حول غدير وقد توارتا بين النباتات الأخرى ، وُقدها المياس مثل نخلة تتمايل مع الرياح ، وردفاها ممتلآن مستديران كثمرتى بطيخ فى موسمهما . رمقتها بنظرة فلم تعرنى اهتمامًا ، وتنهدتْ فلم تنظر إلى ؛ ثم أغلقت دونى باب دارها ، وكأنه

باب الحنة أُغلق فى وجه كافر . أى والله ! .

(يعود ثانيًا للنواح)

سليم : أين دار تلك الأرملة التى اشترت الحلوى وليس معها شئ تبيعه ؟

حسن : فى شارع السعادة بجوار نافورة اليمامتين .

سليم : (متأملاً) : لابد أن تكون زوج الساحر الذى أعدموه العام الماضى على باب البصرة .

حسن : أى ساحر ؟

سليم : الرجل المشعر .

حسن : استغفر الله ، لقد ارتعش مثل طائر . ربما لم أُحلق مثله عاليًا .

سليم : أستغفر الله ! ممكن أن أراك ! أجزم أننى سأنفجر ضحكًا وتخمة ، ولكن خبرنى أ أنت الذى غرق فى الحب حتى قمة رأسه ، أتستمتع برزاياك مثل درويش فى هلاهيله ، أم تبغى السعادة بحق ؟

حسن : إننى أبغى السعادة يا سليم . ولكنى أتوسل إليك ألا تتحدث كثيرًا عن هذا .

سليم : حسنًا ، فأنت تحتاج للشجاعة ، والجبن أيضًا لتشفى من كل شئ عدا عناد الأغبياء ، ولكنى - ربما - أستطيع شفاءك من الحب .

حسن : وحق النبى يا سليم ، ألا تستطيع أن تشفينى من حبى ، وتعالج عدم اكتراثها بى .

سليم : (مع تغير فجائي) : ليس هناك إلا طريقة واحدة لتشفى .

حسن : أية طريقة ؟

سليم : أتؤمن بالسحر يا حسن ؟

حسن : الناس الذين يعتقدون فى أنفسهم أنهم حكماء لا يؤمنون بشئ إلا إذا قام عليه دليل . أما الحكماء فيؤمنون بكل شئ حتى تُدْخض حجتهم .

سليم : ما الذى ندريه حتى نعلم إنْ كان السحر حقيقة أم تخرصًا ، ولكن منذ متى كان مؤكدًا أن السحر يستطيع أن يفيدك ، ومع ذلك يمكنك أن تضعه على محك الاختبار . تستطيع أن تشترى لها الشراب السحرى الذى يمكن أن يجلب حبها ، فترسل لها علبة من الحلوى السحرية .

حسن : إننى مستعد لكل ذلك ، ياسليم أيها المخْلِص . ولكن أتعرف ساحرًا ماهرًا ؟

سليم : زكريا اليهودى ، وصل توًا من حلب . فى السوق ، إنه لرجل بارع إنْ صدقتْ تلك الحكايات عنه

حسن : أ عندك شئ من خبره ؟

سليم : عندى الشئ الكثير . يقولون إن رجلاً فى بخارى نعته باليهودى العدوانى فَقَذَفَ حجرًا بالقرب من رأسه : فجعل الحجر والرجل كلاهما معلقان فى الهواء ، ولذلك دار الرجل حول بخارى على رؤوس الأشهاد الذين كانوا مندهشين ، وقُذِفَ بالرجل فى داره من النافذة العالية .

حسن : (غير مصدق) : ما شاء الله !

سليم : الأغرب من ذلك أن أهل أصفهان يقولون أنه خلع قبة الجامع الكبير وغيَّر فيها ثم أعادها ثانية .

حسن : **ما شاء الله !**

سليم : والأشد غرابة من كل هذا ، أنه فى االقاهرة ، مداعبًا واليها . مسخ كل الناس قردة لمدة نصف ساعة .

حسن : ما حدث تغير طفيف جدًا ، وأنا لا أصدق كلمة من هذه الحكايات . ولكن مما لا شك فيه أنه حكيم ماهر جدًا ذلك الذى يصنع شراب الحب السحرى ، ولكن هل للشراب السحرى أى فائدة ؟

سليم : إنه لكذلك بلا شك ، إذ يوجد كميات من الشراب السحرى تقود النساء للحب حتى لو كانت قلوبهن و رؤوسهن قوية وصلبة مثل جبال عوف ، ولهذا فأنا أعرف أن زكريا يبيع القنينة من الشراب بعشرة دنانير ، ودكانه دائمًا مزدحم بالنسوة العجائز الثريات .

حسن : أى والله يا سليم ، إننى سقيم عشقًا ، فلا غادة جديرة بالعشرة دنانير . وقد قال الحكماء « الهدف غالٍ . » ! و لَحظِ الفَلاسفة « أن هناك آلافًا من ثمار التين على أشجاره وكلها متشابهة » .

سليم : ماذا ! كل الهضاب الملساء اللامعة والوديان الكثيفة الأشجار فى بلدة الحب هذه . . . كل هذه الأشياء تُصنَع من اجل عشرة دنانير ! . . . . وهذا هو الرجل الذى حبه مثل حب المجنون ! ما عشرة دنانير بالنسبة لرجل

عاشق ؟ فأنت دفعت ثلاثة أضعاف هذا المبلغ في هذه السجادة .

حسن : السجادة سجادة ، والمرأة امرأة . وليس فقط الدنانير العشرة . ولكنك تعرف مكانتي في السوق فالناس يقولون : « إن حسن رجل أمين . حسن يركن الى الدعة ، أو يشترى دون ان يدفع » ولكنهم إنْ سمعوا « أن غريبًا قدم بغداد وليس هناك مسلم يستضيفه ، وقال حسن انه يستضيفه ، سيعطيه حسن عشرة دنانير ، دون أن يأخذ مقابلاً . في الخارج مساءً سيقولون « نهاية حزينة » ، وسيقول آخر « انظر له يا سادات ، يا بني ، واياك ان تشرب خمرًا » وآخر يقول « لقد حفظني الله من الأصدقاء أمثاله » ! وسينادونني كلما مروا بي « آه ، حسن اعطنا عشرة دنانير ، ربما نبني بها مسجدًا ! » وساكون خزيانًا حيث يجب أن أَشْرُف ، ومُحتقرًا حيث يجب أن امُجد . . .

(قرع عال على باب الدكان المجاور يجعل حسن ينزوى بسرعة . وبينما يختفي حسن ، تطل ياسمين في فضول سافرةً من خلال شباك صغير في ذلك الجزء) .

سليم : يا له من جمال بسيط وصارخ . . . لماذا ترتدى كوفية أرملة . لابد أنها أميرة ! (يتألم من الضحك) جمال لا يصدق ! عندى الحُلة التى تناسبه . لكنها تحتاج محبًا مجنونًا يدفع ثمن قارورة الماء الملون نقدًا ولكننى أشك أن حلوى حسن الممزوجة بالماء الملون ستفعل شيئًا البتة إلا أن تجعلها عليلة . اما الكحكة المحشوة بهذة الدنانير الكثيرة . . . . الله ، ومع ذلك إن هذه الدنانير لن تخنقها ! آه يا حسن أيها المسكين !

لا تقل لقميصك من ابتسم وأجاب « بنعم » .

لا تحلم باسمها ولا تتخيل رسمها .

(يدخل حسن شاحبًا يترنح) .

حسن : باسم الصداقة . خذ هذه الدنانير العشرة واشترِ لى ذلك الشراب السحرى ، وارجع إلى بسرعة .

سليم : (مظهرًا السخط) : الله ! هل أنا رسولك ؟! اذهب بنفسك إلى اليهودى .

حسن : أنا لابد أن أعد الحلوى فى هذه الساعة ، لأرسلها لها قبل غروب الشمس . باسم

الصداقة يا سليم خذ هذه الدنانير واشترِ لى الشراب السحرى .

سليم : (ينهض ويأخذ الدنانير) : لا تجعلنى عرضة للاتهام يا حسن ، إذا كان هذا الشراب بدون تأثير . فأنا أكرر ما قد سمعته فحسب .

حسن : لا ، لن ألومك . لكن اذهب للسِحْر فكل شئ جربوه وأثبتوا فائدته .

(يخرج سليم ، يشعل حسن النار ويعد مرجله وفى أثناء ذلك يقول) هذا الشاب الذى أبلى سجادتى . بدأت اعتقد انه أبلى روابط حبى . ولكنه إذا اشترى لى شرابًا سحريًا سأسامحه . آه ، يا له من قدرٍ قاسٍ ، جعلنى من العامة انهض بتجارة عامة . أصدقائى هم زملاء لى فى السوق بينما كل أفراد أسرتى الوضيعة قد ماتوا . لو كنت غنيًا وآه يا أنا ، كم سيكون سرورى عميقًا فى كل ما هو روحى ، فى الشعر والموسيقى والفن و الرفاق الذين لا يسخرون منى ويُكشرون فى وجهى ، وفوق ذلك لى خبرة فى ألوان السجاد الغالية والحرير النفيس . ولكن كن راضيًا أيها الفنان ! فأنت لديك

سجادة واحدة ، كن راضيًا أيها الحلوانى !
فأنت لديك حبيب واحد - حبيب واحد ،
ولكن لا يمكن الوصول إليه . . . حتى وإن
كنت غنيًا ، أيها الحلوانى فإنك لن تجده . الآن
سأصنع لها حلوى مثل هذه ! لم اصنع مثلها فى
حياتى . سأصنع حلوى مثل كرات الكريستال
أو مكعبات جوهر الشب النفيس ، أو مضلعات
الياقوت , سأجعل حلواها مثل الزهور . ومثل
الورود الحمراء الفاقعة ، والقرنفل المشبوب
بالعاطفة واللآلئ المضيئة والبنفسج واليواقيت
المعقوفة . وسأعطر وردتى (ربما تذوب حلاوة
فى شفتيها) ، ومع عطر الورد ستقول « وردة »
وتشمها قبل أن تتذوقها . وفى قلب كل هذه
سأقطر قطرة من الشراب السحرى . ألم اقل
« الشراب السحرى سيكون زهورًا » .

المشهد الثانى

ضوء القمر . شارع السعادة . نافورة اليمامتين .
دار بها شرفة تطل على أحد جانبى الشارع ،
حسن أمام أحد الدور ملتحف فى عباءته ،
يتكلم مع البواب .

حسن : هل استَلَمتْ منك الصندوق يا حارس باب البين ؟

البواب : من يدى ، يا موزع العطايا .

حسن : ماذا قالت سيدتك ؟

البواب : سيدى ، يدا الوسيط لإصلاح ذات البين فارعة .

حسن : (يعطيه دينارًا) : لقد ملأتها . أى عسل تساقط من فمها الذهبى ؟

البواب : قالت – خادمك يطلب العفو – « اللعنة على طباخ السكر البدين وعلى عينيه العاشقتين العليلتين . وحق الله ، فحلواه من محياه ! » .

حسن : (جانبًا) : إذا أحبت حلواى فكل شئ سيكون على ما يرام . وماذا كان ردك .

البواب : قلت : « إن حلواه تلمع مثل الماس واليواقيت

فى تاج خليفتنا . وسُكّره صافٍ مثل نواياه » .
ثم أجابت - الأمان لعبدك يا مولاى - « نواياه صافية ، ولكن عباءته ملطخة بالزيوت . »

حسن : وهل أكلتْ الحلوى ؟

البواب : لا أعرف ولكن فى غضون ساعة أَعدتُ تحريك الصندوق فوجدته فارغًا .

حسن : آه ، سلام ، شكرًا .

البواب : سلام .

حسن : ولكن أخبرنى ما اسم سيدتك ؟

البواب : اسمها ياسمين يا سيدى .

حسن : اسم حلو لليلة قمراء . سلام .

البواب : وعليكم السلام ، يا خواجه !
(يَرجع البواب ويُغْلِق الباب)

حسن : (لنفسه) : ماذا لو أن اليهود كانوا أقدم جنسًا منا ، ويعرفون الأسرار المنسية ، وا حسرتاه ! إننى لا أومن كثيرًا بتلك الحلوى . استطاعت تلك القطرات أن تسيطر على روح الحب ؟ ولكن ، من يستطيع أن يقول ذلك ؟ سَحِرَ الشباب فى السوق من كل أنواع السحر ، ولكن هل يعرفون كيف يجعلون الشمس تسقط فى

ليل كهذا ، ألم تغن النافورة لحنًا وتنشد الأحجار المتساقطة ؟ آه ، يا ياسمين ؟

(يأخذ العود من تحت عباءته ويعزف)

ياسمين . . . ياسمين . . . ياسمين . . .
ياسمين . . .

(يترنم مغنيًا بمصاحبة عوده)

يا لها من روعة فى الصباح حين يتوهج السوسن ،
وبأبهى جمال وحسن يلقى .
تضرعتُ للورد !
أيهز الورد رأسه يا ياسمين ؟
وعندما تهبط الورقاء الفضية ،
فإننى أجد فيها زهرة ندية من الأصدقاء .
من لها اسم آخره عبق وجمال ،
أقولها لو قلتها يا ياسمين .
ضوء الصباح صفاء مقرور ،
لن أجرؤ على ضمك فى هذا الضوء .
ضوء أبيض ناصع وذهب نضار ومجد ،
بعيد مناله يا ياسمين .
اذا توسطت الشمس كبد السماء واتجه المسلمون نحو مكة للصلاة ،

فأنا أتجه إلى سريرك يا ياسمين .
عندما تتراكم الرياح تحت القمر ،
مثل روح نشوى .
وتغنى الكواكب العازفة لحن الحب ،
على أجنحة المجرة المتباعدة ، يا ياسمين .
اغسلى حبك يا أيها الوضاحة المحرقة ،
الليلة أو الليلة التالية .
هل سيأتى البستانى بملابسه البيضاء ،
ويجمع الأزهار الذابلة ، ياسمين .
(بينما يغنى بهيام مقطع «ياسمين» ينفتح مصراعا الشباك وتطل ياسمين معجبة به)

ياسمين : يا ويلتى ! أيها العازف على القيثارة ، ياسمين هو اسمى أيضًا ، ولكنى أخشى أن تكون نظمت هذه اللآلئ لياسمين أخرى أكثر جمالاً .

حسن : لا يوجد إلا ياسمين واحدة ، ياسمين أنت .

ياسمين : أ أنت حسن الحلوانى ؟

حسن : حسن ، نعم أنا حسن الحلوانى . أنا الحلوانى ؟

ياسمين : ما شاء الله يا حسن كلماتك أجمل وأحلى من حلواك .

حسن : تبدين سيدة لطيفة ، فعيناكِ تبدون من خلال

حجابك كأنهما ملائكة من خلال السحب .
هل أطلب رؤية محياكِ ؟ يا أيها الكمال الوضاح ؟

ياسمين : (بخبث) : أتحسبنى نصرانية أيها الجرئ ؟ منذ متى بنات المسلمين ينكشفن على الغرباء ؟

حسن : قيل أن الذى يتحدث إلى محبو بته ليس غريبًا .

ياسمين : (كاشفة عينيها) : أ أنت راضٍ الآن أيها اللحوح !

حسن : لا ، حتى أشاهد الكمال عيانًا .

ياسمين : لن تتحمل يا شاعرى . وماذا عن قولك : « المجد بعيد مناله يا يا سمين »

حسن : دعينى أراكِ سافرة يا ياسمين .

ياسمين : لأفعلن أى شئ لأرضيك . (سافرة) أيرضيك . هل لى أن أرجوك يا سلطانى ؟

حسن : متشبثًا آه ، كم أنت رائعة !

ياسمين : يا أمير الشعراء هذا كل ما تستطيع قوله ! ألا بيت من الشعر ، ألا من كناية ، أو التفاته ، أو انثناءه ، أو حتى إشارة بأن السماء قد انفتحت فكان فيها بدران ؟

حسن : لا يوجد بدر ألا أنت .

ياسمين : أحلى حلوى ، يا حلوانى ، والآن تصبح على خير .

حسن : آه ، ابْقىَ يا ياسمين ، فأنت جميلة جدًا وأنا جرئ جدًا . أنا لا شئ وأنت ملكة نجوم الليل . ولكن تفكيرك أَوثقَ نياط قلبى ، إننى أحترق فى حبك يا ياسمين . هاتِ لى الدليل على ذلك يا سيدتى ، فلا يوجد شئ أستطيع أن أفعله لعينيكِ الحالمتين سأعبر صحارى الملح ، وأنتزع كأس ماء الحياة من الجنى الذى يحرسه ، سأمشى إلى حدود العالم واسرق بيضة الرخ من عشه الماسى ، لأسبحن المحيطات السبع ولأعبرن الجزر الخمس لأسرق خاتم سليمان بن داود من قصره حيث يقبع نائمًا فى الصمت وفى جلال الموت الرهيب وسأضع الخاتم فى إصبعك و أجعلك سيدة أرواح الهواء - ولكن لو تحبيننى ؟ لو تحبيننى ، يا ياسمين ؟

ياسمين : بل حب ، وعشق .

حسن : (بهيام) : آهِ ، أجيبينى !

ياسمين : أظن أننى سُحرتُ يا حسن ، كيف لا أستطيع أن

أخبرك حتى ظهر اليوم ، تخيل شكلك جعل صدرى يضيق من الاشمئزاز . ولكن منذ أكلت هديتك من الفاكهة المجففة المسكرة - كانت فاكهة مسكرة رائعة أكلتها بسرعة ، تغير قلبى ومال لكَ ، لا أعرف كيف ولا لماذا ، إلا إذا كان من خلال السحر .

حسن : (جانبًا) : إنها لى ، السحر يحكم العالم ! (بصوت عال) : ياسمين ، أمن الممكن أن تكونى لى يا ياسمين ؟

ياسمين : الستُ صحراء تنتظر المطر ؟ ألم أُخلق للحب يا حسن ؟ أليستْ شفتاى اللتان تحترقان للقبل ؟ أليس ذراعاى اللذان يميلان سهولة وصعوبة من أجل ليلة الحب ؟

حسن : أليست شفتاك وردتى حب ، وخداكِ سوسنتى حب ، وعيناكِ ياقوتتى حب زرقاوين ؟

ياسمين : بلى يا حسن ، وشَعْرى هو شَبكة الحب ، وقميصى رداء يذوب عند لمس الحبيب ؟

حسن : إننى أغرق فى موج من الجنون . دعينى أدخل يا ياسمين ، أدخل !

ياسمين : آه ، لو أستطيع !

حسن : لم لا ؟
ياسمين : آه ، لو أجرؤ !
حسن : ما الذى تخشينه ؟ إنه الليل والشارع ساكن .
ياسمين : آه يا حسن يا حبيبى ولكننى لستُ وحدى .
حسن : (هامسًا) : لستِ وحدكِ ؟ مَنْ معكِ ؟
ياسمين : لا ، الرجل الذى أرسلته أنت إلى هنا .
حسن : لم أرسل أحدًا .
ياسمين : أحد أصدقائك .
حسن : رجل ؟
سليم : (يطل برأسه من الشباك) : نعم يا حسن ، السلام عليكم . أشكرك لأنك وجهت خطاى إلى هذه الكرمة الوردية .
حسن : (مندهشًا) : سليم !
سليم : خادمك دائمًا .
حسن : (بغضب) : سليم !
سليم : أنصحك يا حسن أن تذهب وتبحث عن البيضة المسحورة .
حسن : سليم ، لماذا أنت هنا ؟
سليم : لا تدس أنفك فيما لا يعنيك ، يا عمى .
حسن : منذ متى أصبحت عمك يا سليم ، وكيف ؟ لم

أعد صديقك ؟

سليم : منذ أُلهِمتَ الشعر يا حسن ؟ ولكننى سمعتُ هذه الأبيات !

من طَيّر العقاب وراء اليمامة

فالصداقة من مخالب الحب .

حسن : الحب . أى حب تقصد يا حثالة السوق ؟

سليم : هذا . (يضع يده على كتف ياسمين)

حسن : أعماك الله يا سليم وأقفل دونك رحمته !

سليم : ما هى جريمتى يا عمى ؟ كيف لى أن أخطىء فى حقكِ ، أو أكسب هذه اللعنة المقدسة .

حسن : لا تلمسها يا كلب ، لا تلمسها !

سليم : أهى جريمة أن ألمس ياسمين يا عمى ؟ ألنْ أُعذرَ ؟ أليس جيدها عمودًا من المرمر (يضع ذراعه حول جيدها) .

حسن : عذاب النكر لكِ !

ياسمين : أليس ذراعاى مثل سيفين هنديين مصقولين عطشانين للدماء ؟ (تضع ذراعيها حول عنق سليم) .

حسن : نار جهنم !

سليم : أليست عيناها ياقوتتين زرقاوين فى بحيرتين ؟

ياسمين : أليست شفتاى ياقوتتين تنضحان دمًا ؟ (تقبله)

حسن : وأسفاه ، وأسفاه ،

سليم : (وجهه فى صدر ياسمين) لا تستطيع ولكن انظر يا عمى ، هضاب الفضة ، فيها بساتين الرمان ، والنافورة العميقة فى السهل المرتفع ، والنهر الذى يروى الزهور فى الحديقة ، والقنديل الوهاج بين الأعمدة حيث يحترق بخور الحب . كيف لى أن أشكرك يا عمى على الاسم وعلى العنوان ونصف دنانير اليهودى !

ياسمين : كيف أشكرك يا عمى على انك أرسلتَ لى صديقكُ الشاب القوى الصادق هذا ليسلينى ويؤنسنى فى وحدتى وأساى ؟ كم هو أليم أن تكون أعزب وأنت غض الشباب !

حسن : (يضع يده على رأسه) : النافورة ، النافورة ، رأسى ! رأسى !

ياسمين : لا تغب يا عمى ، وإلا فإن شعرك سيسقط فى يديك .

حسن : لو استطعت أن أطول عنقيكما بالسكين ، يا أبناء الشيطان !

ياسمين : كنتُ شمس وجودهِ ، والآن أنا بنت الشيطان

لماذا ؟ لن أشقى لن اثق ثانية فى حب رجل .
كنت مجدًا بعيدًا مناله والآن يريد أن يقطع عنقى . ومن قبل حاول أن يقتلنى بالسم آه يا حسن ، ان رغبتَ فى موتى ، فأرسل لى بعض حلواك المسحورة !

سليم : أُحذركَ يا حسن من أن تمزح مع الجن .

ياسمين : حسن ، لا تشترِ عصائر كثيرة من اليهودى .

سليم : أخاف كثيرًا على سمعتك فى السوق يا صديقى ، ولن يردد الناس كثيرًا ، « حسن رجل أمين » ، ولكن كل واحد منهم يوكز الآخر قائلاً له « خذ حذرك من حسن فإنه ساحر مكار ، تحدث مع أرواح الهواء ! لا تتعامل مع حسن ، يا بنى ، يا سادات ، فهو يبيع الحلوى المسحورة التى تؤدى بالزبائن إلى الجنون . وفى الليل قطعًا فإن حسن سيمشى على الأسطح وراء القطط . الله حفظنى من العين الشريرة لذلك الرجل ! » وسيقول آخر وهو يضرب على جبهته « لا تتحدث بأذى إلى المسكين حسن ، إنه سليب العقل ! » وسيقول الأولاد السذج « أمسكْ حسنًا الذى دفع عشرة

دنانير من أجل وعاء من صبغة النيلة ».

حسن : آه ، الموت !

ياسمين : انظر له فهو يرفرف مثل الروح النشوى ! عد للبيت أيها الصديق القديم !

سليم : عد للبيت واكتب قصائد !

ياسمين : عد للبيت واصنع الحلوى !

حسن : ياسمين ! يا ياسمين ، يا كل شئ لى !

ياسمين : أغرب وإلا سأبرد رأسك أيها الشيخ الغبى !

حسن : ياسمين ! يا ياسمين (يقف وذراعيه ممدوين)

ياسمين : خذ هذا ، يا بلبلى لتطفئ طموحك . (تصب عليه دلوًا من الماء وتغلق مصراعى الشباك . وحسن لا يتزحزح من مكانه)

حسن : أنت كلب وضيع قذر يا سليم . وأنتِ أيتها المرأة التى لا توصف . سأجلدك فى المدينة وأضعك على الخازوق فى السوق ، وسيقذف الناس جسدك بأكوام الروث حتى تتعفن . آه من شدة الصداع الذى عندىّ آه فانتِ خنزيرة قذرة ستصرخين فى الجحيم إلى الأبد أنت و سِحْركِ واليهودى . يوجد دم يتساقط من الحائط (يطرق على الباب) سأدمر المنزل من

الداخل . سأقتلكِ . يا الله إننى انقسمت إلى نصفين . إنه حظى أنْ حلمت وصدقتُ الساحر . يا الله ، إننى أموتُ . آه يا ياسمين إنكِ لجميلة وشديدة القسوة . يا أيها البهاء الحارق لقد قتلتنى ! وداعًا ، والسلام .

(يسقط تحت ظلال النافورة . صمت . يظهر ضوء فى الدار المجاورة . تبدأ موسيقى هادئة ، يشقشق ضوء الفجر الأول فى السماء)

(يدخل الخليفة هارون الرشيد ووزيره جعفر ومسرور السياف وشاعره إسحق الشاب ، كلهم يلبسون ملابس التجار)

الخليفة : يا إسحق إننى مكتئب وظللت الليل بطوله هكذا ، ولما نزل نتجول فى الشوارع المتعرجة ، ولما نزل دون أن نجد تسلية ، والقمر المشرق ما زال ساطعًا .

إسحق : يا خليفة المسلمين ، أليس للحكيم متسع من التسلية فى سطوع القمر وفى قطرات الماء التى تتدفق من تلك النافورة ، وفى شكل أشجار السرو الفارعة التى تستند على الحائط موجهة أغصانها نحو النجوم ؟

(تعزف ثانية الموسيقة التى توقفت)

الخليفة : لكنى سمعت موسيقى ورأيت أضوّاء . اسمعوا ، اسمعوا تعالوا نخطف لحظة من تلك الليلة اللعينة ولو - يا أصدقائى - فى الساعة الحادية عشرة .

جعفر : مولاى ، الليل يجرى ، وأنت لم تنم . وإنها لساعة متأخرة لتبحث فيها عن التسلية والمسامرة .

إسحق : وفى ذلك تكمن الميزة ، يا مولاى هارون ! ولذلك فهو يحافظ على دكانه الكبير فى حالة جيدة ويبيع دَخْل الولايات ويشترى أرواح الناس .

الخليفة : كفى ، كفى ، ادْعُهم يا جعفر ، وانظر إن كانوا سيخدعوننا .

جعفر : أيها الأشراف ، بسم الله !

صوت : (من الشباك شخص مختفى) : من ينادى .

جعفر : نحن أربعة تجار قدمنا الليلة الفائتة من البصرة ، وما إن وصلنا حتى قابلنا رجلاً فى الشارع منها يقيم فى بغداد ، دعانا إلى العشاء معه فقبلنا ، وبقينا حتى ساعة متأخرة نتسامر ونتبادل أحاديث

البصرة ، وتركناه منذ ساعة مضتْ . فنحن غرباء عن المدينة ، ضللنا طريقنا ، و لذلك نتجول بحثًا عن خانٍ نبيتُ فيه ولكننا لم نجد حتى الآن . ثم قادتنا فرصة سعيدة إلى هذا الشارع ، عندما رأينا الأضواء وسمعنا الموسيقى ، وفى الحقيقة يا سيدى فإننا نأمل أن نتذوق كأسًا من عطفك لأننا أناس شرفاء ومعنا أصحاب كرامِ المحتد ومؤمنون حقًا .

الصوت : إذن أنتم لستم من بغداد ؟

جعفر : بلى يا سيدى نحن من البصرة .

الصوت : ان لم تكونوا فى بغداد فلن تدخلوا على الذهب الذى فى خزائن الخليفة .

الخليفة : يمكن - إذن - أن ندخل لأننا من البصرة ؟

الصوت : إنْ دخلتم فستكونون فى حمايتى . وإنْ ضايقتمونِي فسيكون الموت عقابكم ، ولن يجبركم أحد على الدخول . ادخلوا بسلام يا رجال البصرة .

الخليفة : (جانبًا) : مغامرة نادرة . (بصوتٍ عالٍ) سنخاطر بإزعاجك ، يا مضيف الازعاج ، والآن فلنبحث عن الباب .

الصوت : منذ متى انفتح الباب ذو السمعة الطيبة ، أيها السادة ، على هذا الشارع ؟ بابُنا ليس بعيدًا عن هنا ، وأنتم أيها الغرباء السعداء لن تجدوه . ولكننى سأبحث عن وسيلةٍ لصعودكم ؟

الخليفة : جعفر ، أنا لا أشك فى أن داراً عظيمة كانت توجد فى هذا الحى الفقير من المدينة . تبدو من الخارج كأى دارٍ أخرى ، ولكن ليس لها باب ، ولكن فى الداخل ، وإن كان لا يوجد لها إلا فناء خلفى ولكنها واسعة جدًا وفيها بعض الأمراء . سنكتشفها الليلة يا جعفر .

جعفر : مولاى ، لقد حذرونا من الخطر !

(يتدلى دلو)

الخليفة : خطر ؟ لا أبالى ؟

(يجلس فى الدلو و يُرفع إلى أعلى)

جعفر : آه ، يا مسرور سأنام هنيهة .

مسرور : سنستيقظ فى الجنة ، لو سمع الخليفة يا جعفر .

(مسرور يهز السيف فى براعة بالقرب من رقبة جعفر)

جعفر : (بينما يصعد فى الدلو يشير إلى سيف مسرور) : الطريق إلى الجنة ضيق ولامع يا مسرور !

مسرور : (بحركة شرسة من سيفه) : نعم يا جعفر إنها ضربة خاطفة .

(رُفع جعفر بينما يُرفع مسرور ، ويُوضع الدلو لإسحق)

إسحق : (وحيدًا) : سِرْ فى الطريق يا أمير المؤمنين . فلن أتبعك قيد أُنمْلة . إبحثْ عن أكثر من مغامرة إذا رغبت . أما بالنسبة لى فإن انبلاج الصباح هو مغامرة كافية – وكذا الماء المتناثر من النافورة . استكشف يا هارون سِر الأضواء والموسيقى ، لتلك الدار التى هى بدون باب وللسيد الذى لا يسمح لأحد بدخولها . استكشف أسرار حب هذا الرجل وفشله ، ثم احنت فى قسمكِ وانشر حكايته بين أهل بغداد كلهم ، ثم أغرقه ذهبًا ، واحلم أنك جعلته صديقكَ ! أكياس الذهب التى ألقَيت بها ، يا سيدى الكريم بين يدى امرأة من أجل ليلة أو وهبتها شاعرًا من أجل دعابة ، أو أعطيتها صديقًا غنيًا لأنه سامرك ، أو أعطيتها شحاذًا من أجل الهوى . أليستْ أكياس الذهب هذه من خراج المدينة وقد جُبيتْ من الفقراء قهرًا ؟

ولكن تأوهات شعبك يا هارون لا تحرك حتى
ورقة شجرة فى بستان قصرك ! وأنا - أنا قد
أخذت ذهبك - أنا ، إسحق ، الذى وُلِدَ على
جبال خالية إلا من الغابات والرياح . واتخذتُ
قصوركَ وطنًا لى ، وغالبًا ما نسيتُ أنها سجنٌ
لى . ولكننى صغتُ أشعارًا براقة غثة ، مئات
الأبيات فى قافية واحدة ، فى أُسلوب سطحى ،
أخجل منها شاعرًا ، وتهيننى انسانًا . ونسيتُ
الرجالَ الذين يحرثون ويبذرون ، وكوخًا على
التلال حيث ولدتُ . (يلمح حسنًا .) آه ،
هناك شخص فى الظلام . جثث الفقراء تملأ
الشوارع هذه الأيام . يموتون بالسم أو بالسيف
ولكن معظهم يموتون جوعًا . ما شاء الله
ولكنكَ لم تمتْ جوعًا يا صديقى ، وأرى على
وجهك ما لا أحب أنْ أراه . فى هذه الملابس ،
رجل من العامة ، بقال أو خباز ، شخصية غريبة
وغير مهندمة ، ولكن ليست على جبهته سيماء
العامة بالمرة . أعتقد ذلك .

جعفر : (من أعلى) : ستصعد يا إسحق ؟

إسحق : (يرد عليه صائحًا) : انتظر دقيقة ، اننى

(لنفسه) ما الذى جعله يقول هذه العبارة الجارحة ؟ إنه شخص دميم ولكننى أؤكد أن هناك فائدة فى تأييده . ماذا ؟ عود ؟ خذ بيدى يا أخى . أنت ايضًا تحب الموسيقى وتستطيع أن تغنى أغانى الشعب التى هى أفضل أغانئ أنا – الأغانى التى تعلمتها من جدتى (يأخذ العود المكسور بصورة الية) ما هذا ؟

«أجاء الولد الأخضر من فوق الجبال ،
مبتهج القلب مع بهجة الصباح ؟»

نسيتها ، والعود انكسر . والبيت التالى :

«تعالَ إلى العيون ، عيون الصحراء !
القافلة تقترب ، فأسمع خف البعير» .

(يمسك بيد حسن) آه ، يا أخى يدك دافئة ، وقلبك ينبض ، فأنت لست ميتًا

(يغسل جبهة حسن بماء من النافورة) سأعرف بعد ذلك من الذى لَوَحَ فمك فأصبح ملتويًا .

الخليفة : إسحق ، إسحق ، إننا فى انتظارك .

إسحق : ألا أكون حرًا لمدة ساعة أستنشق الفجر وحيدًا ! آه (يأخذ بجسم حسن ويجره إلى الدلو) جئتُ يا سيدى ! (يضع حسن فى الدلو) هناك

خذ مكانى يا أخى ، وانتظر مصيرك . سأكون
حرًا الليلة ، حرًا لفجرٍ واحدٍ على التلال !
(بينما يُسحبْ حسن فى الدلو إلى أعلى ،
يمشى إسحق مسرعًا بعيدًا) .

الستارة

الفصل الثانى

المشهد الأول

حجرة كبيرة . على الشمال ثلاث مداخل تقود إلى شرفة حيث الخليفة وجعفر والمضيف فى الداخل تتلألأ الحجرة بالأضواء ولكنها خالية . أثاثها بدا غريبًا بسبب رحابتها ، تنتهى المداخل السفلى عند مربعٍ فى المنتصف . الأثاث شرقى الذوق أكثر مما هو معتاد .

الخليفة : إسحق ، يا إسحق إننا ننتظرك .

جعفر : إسحق ، يا إسحق ، ربما أغمى عليه .

الخليفة : أغمى عليه .

جعفر : دعنى أهبط وأرى ماذا يفعل . أظن أننى أسمع حديثه .

الخليفة : إنه يتحدث إلى الأشباح . الليلة أصابته لوثة . لا تشغل بالك به . فَكِّر فى صداقتنا وانسَ . أنتظر مثل يهودى فى قاعة العدالة ، أنا السيد ...

جعفر : (بسرعة) لسنا فى البصرة يا مولاى . انظر فإن الحبل قد يشد (إلى مسرور) اسحب ، يا ذا الروح البيضاء .

رافع (المضيف) : (يعرض المساعدة بالحبال على الخليفة الذى جلس على مهلٍ) : قوى الله ساعدك ، يا أخى يا من من قَدِمْتَ من البصرة . (ينهض حسن من الدلو قذرًا فاقد الوعى) يا الله ، يا الله ، على أى كومة روث مات هذا الطائر ؟ أهو نديمك ؟

جعفر : يا صاحب الدار ، هو ليس بصاحبنا ولم تقع عليه أعيننا من قبل .

رافع : ثم ما هذا ؟

الخليفة : لقد خدعنا صديقنا - لعل الله يفكه من أسر عبوديته - أرسل هذا الرجل الى السجن بدل أن يأتى بنفسه الينا . دعنا نقذف به إلى الشارع .

رافع : (يجس نبض حسن) : انتظر ، هذا الرجل قد مات على أية حال ، وطاحونة قلبه مازالت تطحن دقيق الحياة ، آه يا كافور .

(يدخل كافور شاب جميل القسمات)

كافور : فى خدمتك يا مولاى .

رافع : يا صفصاف !

صفصاف : (أكثر شبابًا) : تحت أمر مولاى .

رافع : عرعر !

عرعر : فى خدمة الأمير ؟

رافع : طرفة !

طرفة : (ولد صغير فى صوته صفير) : تحت أمر سموك يا مولاى .

الخليفة : (جانبًا إلى جعفر) : حقيقى ، مدهش ! نموذج واضح للاحترام والذوق السليم .

رافع : ردوا هذا الرجل للحياة يا غلمان . أحيوه وحمموه واغسلوه بالصابون ثم طيبوه و سَرِحُوا شعره ، وألبسوه العباءة الرسمية ثم أرجعوه لنا .

كافور : سمعًا وطاعةً .

صفصاف : نشرف بذلك .

عرعر : نركع .

طرفة : ثم نطيع .

الخليفة : (يدخل حجرة الدار الرئيسية) : الدار ذات تناسق عظيم وأثاث فريد ، يا مُضيفى ، ومن المدهش أن مثل هذه الدار تطل على شارع محتقر جدًا .

رافع : إنها دار قديمة حيث كان المانويون (الشيطان الذى يشوى الهراطقة !) فى فيما مضى يعقدون اجتماعاتهم قبل أن يُسْلَخوا أحيًاء . وعُرِفتْ

بالدار ذات الحوائط المتحركة .

الخليفة : لماذا كان هذا الاسم ؟

رافع : لا أعرف بكل تأكيد .

الخليفة : لقد صمتَ صوتُ الموسيقى . لقد صمت .

رافع : انتظرتُ الإذنَ منكم أيها الضيوف ، قبل أن نستمر فى المسامرة البسيطة . (يصفق بكفيه إلى الموسيقى) ، هيا يا راقصات !

(تعزف الموسيقى . يدخل المضيف حجرة ويشير إلى ضيوفه ليجلسوا فى صمت) .

الخليفة : بلا ريب ، بعد هذه المقدمة ، وفى هذا القصر الرائع ، سنرى راقصات رائعات من الجنة .

جعفر : الله يهب لمن يشاء يا سيدى .

الخليفة : (إلى جعفر) : آه ، إننى أسمع وقع أقدام . خمر الظنون ترقص فى شراييني يا جعفر . أية حوريات فاتنات سيسحرن أعيننا الليلة ؟ وأى صدور وردية وأى أكتاف فضية وأى سيقان عاجية فى لون الياسمين !

(يمشون فى نظام متناسق إلى حيث الموسيقى حينئذٍ تدخل مجموعة شديدة الرهبة من المعدمين الشرقيين لا العين تستطيع التخيل

ولا اللسان يستطيع الوصف . يرأسهم زميل منهم ، أحسن قليلاً ، فى أسمال بالية لا يمكن وصفها . يقود الكورس بأغنية نصف نغمة ذات أسلوب شرقى .)

يا ذوى القدمين ،

انتشروا واذهبوا ثم اغْرُبوا .

الذى بلا قدمين ليس فى حاجة للرقص .

ولكن يمكن أن ينضم لنا فى الغناء .

الكورس (حبوًا) : ولكن يمكن أن ينضموا لكم فى الغناء .

أظهر خوفك الأشد ثورة .

فالناس لن ينزعجوا منه .

كلما كنت مسببًا للغثيان .

كلما كسبتَ وربحتَ عطفهم .

الكورس : ورِبْحُكَ ، رِبْحُكَ ، ورِبْحُكَ ، [ربحك]

يشقق الشفاة ويفلج الأسنان ،

أيها الساكت المشوش المجنون .

وأغمض عينًا أو اغمض الاثنين .

انهضوا يا معدمى بغداد .

الكورس : انهضوا يا معدمى بغداد .

خبروني أن هناك مخزنًا .
حيث أضاءوا مصباحًا صغيرًا .
وهذا المخزن مليء بالذهب .
أكياس وأكياس وأكياس من الذهب .

الكورس : (بصوت أجش)
أكياس وأكياس من الذهب .
وأكداس وأكداس وأكداس من الذهب .
افتح عينيك واشخص إلى الأكداس .
فهناك أكياس وأكياس وأكياس .
والذهب لمن يحتاجه من الناس .
(يرفع المضيف يده . ينكب المتسولون جميعا
على وجوههم . موسيقى راقصة .)
(تدخل من اليمين فرقة الشقراوات ، وتدخل
من اليسار فرقة السمراوات الجميلات)

الفتيات الراقصات : تقدمن يا بنات البهجة ،
فالبتلات تهيم على وجهها ،
ويا سَرْو اهتز وارقصْ يا يراع !
وغِنْوتكْ غنوتك يا كروان !

الشقراوات : وجوهنا شاحبة

السمراوات : كالفجر بالورود

آه يا ورود ، آه يا أمانينا !

وجوهنا سمراء ،

الشقراوات : (بانحناءة) : ولكن كالشفق يقذف السماء باللهب

الكورس : تقدمن يا بنات البهجة ،

فالبتلات تهيم على وجهها ،

ويا سَرو اهتز وارقص يا يراع !

وغِنْوتك غنوتك يا كروان !

(يحطن المعدمين يرقصنْ ويشرنْ إليهم) .

قائدة الشقراوات : من أى حانٍ حقير ، أو من أى شارع جلبتن تلك الحقيرات ، اللاتى وسخن أقدامنا ؟

قائدة السمراوات : طِرنْ يا أخوات وستنجرح قلوبنا

(يمسكها قائد المعدمين .)

دَعْ أقدمنا تنطلق يا ابن الحثالة .

قائد المعدمين : أيتها الفتاة . لو بدت منكِ النذالة ، حسى ولكن لا تظهرى الدهشة . فالأشياء . التى تحدث هنا ستبدو

(ينهض ويرفع رجليه ثم يرمى خرقه البالية التى تلمع فى لون ذهبى)

متناقضة فى الفردوس .

(تختفى هلاهيل وأسمال كل الفرقة ، وكأن ذلك كان سحرًا ، بينما (الفرقة)
(تنهض وتصيح مع الكورس)

الكورس : متناقضة فى الفردوس .

(يرفع رافع يده . فيقف الكل منتبهًا)

أصوات : اصمت ، فالملك يتحدث .

ملك المعدمين .

الملك .

رئيس المعدمين : ملك المعدمين ،

أمير المؤمنين ، وطاووس طريق الفضة ، وسيد بغداد .

(صف من راقصات الباليه فى الحجرة خلف الممر الذى تحت العقد)

جعفر : (فى جانب مندهشًا) : ملك المعدمين ؟

حسن : (فى جانب مندهشًا) : أمير المؤمنين ؟ الله كريم ، فى الواقع هذه مزحة !

رافع : (يخلع حلته الخارجية ، ويكشف أنه يرتدى درعًا ذهبيًا فخمًا) : أيها الرعايا والضيوف . أن هذه الليلة قبل أن ينتهى يومنا ، ويتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود ، الآن خطتنا كاملة ،

ومؤامرتنا ثابتة الأركان ، انتصارنا وشيك ، ما الذى بقى لى هناك لأخبركم به ، يا أيها العصبة المؤمنة ؟ هل لى أن أسألكم أن تكونوا شجعانًا ؟ أنتم أسود . كونوا بارعين ، كونوا حيات أو شياطين . كونوا دمويين . فأنتم ذئاب .

الآن انظروا ، لم تزل بغداد فى حلم وانها فى غضون دقائق ستملؤها النار . وتلك النار أشد حمرة من الشفق . تسولتم فلا بد أن تشتروا ، لأنكم قد نافقتم . لابد أن تُقَاتِلوا ! لأنكم قد تآمرتم . لابد أن تَسْرِقُوا لأنكم تذللتم ! فلابد أن تَقْتِلوا .

يا له من عطس عالٍ لهم ، هؤلاء الخنازير سنشق مناخيرهم اليوم ! النحاس الذى قذفونا به ، وحديد الصلب الذى سنرجعه لهم ، حديد صلب جيد من دمشق ، يحفر حفرة ضيقة عميقة .

ولكن بالنسبة لطاووس الطواويس ، فإن كيس الفسق هذا ، ذلك الخليفة وهو حى فى تابوته ، أنا وليس أحدًا آخر سأُسَمّره وعيناه تنظران لى .

حدائقه ونافورته ومصايفه وقصوره ، خيوله وبغاله وأفياله وتماثيله وخمور مصر ، وسجاد بخارى ، والصناديق العظيمة المغلقة التى تعج بالذهب النضار وعقود الجشمت ، وأساور الياقوت الأزرق ، كل هذا وكل نسائه اللاتى هن مثل الورد المختار ، هم لكم للمتعة والغنيمة يا أولادى . كلهم أنقذوهـــا ممن حذرتكم منه . المرأة التى أملكها والتى ستجلس سافرة على كرسى الخلفاء . . . وعندما ترونا نجلس على الكرسى معًا ، فإنكم ستصرخون حينئذ . . .

المعدمون : (يؤيدون بصياح) : مات الخليفة ! إنتهت الخلافة ! عاش الملك !

جعفر : (فى سخط) : هذه الكلمات ليست مقبولة حتى وإن كانت مزاحًا .

رافع : يا ضيوف الساعة ، أرجوكم ضعوا لسان الرشد والحذر فى جانب اللياقة .

جعفر : لياقة ! واجبات المضيف أعظم من الضيوف . ليس من الذوق السليم أن تتحدث هكذا بين يدى المدعوين . نتوسل لك أن تدعنا فقط

تنسحب فى هذه اللحظة .

رافع : ومن الذى سيهرب معى أيها السادة من انتقام الخليفة ، ان وشيتم حينئذ الى رئيس حرسه ؟

جعفر : نعدك فنحن رجال شرف .

رافع : لو كنتم لصوصًا ، أمثالنا ، لو ثقتُ فيكم .
ولكن أما وإنكم كما قلتَ ، رجال شرف ، فإن الشرف سيقودكم للتذلل على باب الخليفة ، وسينقضُ الشرفُ بسرعةٍ الوعدَ الذى أخذه اللص والزائر تحت التهديد .

جعفر : سيدى ، أرجوك
لا نريد المزيد من هذا .
سوَاء أكنت جادًا أم مازحًا . سينبلج الصباح حالاً ! فلابد أن نذهب . لدينا أعمال ضرورية تنتظرنا .

رافع : أعطنى أسماءهم أيها الضيف ، والليلة سأقذف بذهبهم وجثثهم تحت أقدامكم .

جعفر : إننا نصر على أن تدعنا نذهب .

رافع : أيها التجار ، أخبرونى عن شئ واحد . أ أنتم تسكنون فى دور فاخرة فى ميناء البصرة .

جعفر : ليس عندنا مساكن حقيرة .

رافع : هل غرفكم فاخرة واسعة ومؤثثة بأثاث فاخر ؟

جعفر : بصورة جيدة جدًا .

رافع : اخبرنى أكثر ، ألديكم سجاد ناعم على أرضيات هذه الحجرات ؟

جعفر : يوجد سجاد .

رافع : طنافس عظيمة غالية من فارس وأفغانستان ؟

جعفر : نعم .

رافع : إنه لشئ يدعو للأسف . فالطنافس الناعمة تجعل باطن القدم ناعمة . وهؤلاء الذين لهم أقدام ناعمة لابد من أن يستمروا فى طريق الخنوع .

مسرور : (شاهرًا سيفه) : أتجرؤ على أن تهددنا ، باسم الله !

رافع : حقيقة أيها العبد الوقح ، افهم وإلا ستذهب غير مأسوفٍ على شبابك . هل أسقط إبرة التلميح والتقط جوهر الحديث ؟

هل لى أن أخبركم يا ضيوفى الثلاثة بصراحة صريحة ، أنه إنْ هددتمونى مرة أخرى ، سأدحرج رؤوسكم من على أجسادكم ؟

(يدخل حسن فى أبهى حلة ، محاطًا بأربعة غلمان يتخلل صفوف الراقصات)

حسن : (نائحًا) : آه ، آه ، آه ، أيوه أيوه
ما شاء الله ! استغفر الله !

رافع : ماذا ؟ حسن الضيف الرابع ؟

كافور : لقد حممناه . كان يحتاج إلى ذلك .

صفصاف : مشطنا شعره . وكان ذلك ضروريًا له .

عرعر : طيبناه . هذا واجبنا .

طرفة : ألبسناه . وتلك بهجتنا .

حسن : (كما هو قبل ذلك) : أى والله ! الله أكبر !
الله كريم .
أستغر الله !
أى والله
حسن انتهى !
لم يعد حسن !
مات حسن !
دُفِنَ حسن !
أصبح جسدًا !
كريم يا الله !

رافع : يا حسن ، إن هذا اسمك ، ألم يتعامل معك

غلمانى بصورة جيدة ؟ ان كانوا آلموك بحيلهم ، فبالله العظيم ، إننى سا . . .

حسن : أتوسل إليك ، أتوسل إليك . لا تدق عنق أحدٍ يا سيدى ، وفوق ذلك لا تدق عنقى .

رافع : آه ، أنت سمعتنى ! امتلكْ شجاعتكَ و كل ما أطلبه من ضيوفى ، ايها الطيب حسن ، هو السلوك المهذب .

حسن : آه ، ومن هم هؤلاء الرجال المزعجين ؟

رافع : متسولون من بغداد ! أكثر من عشرة آلاف فى الشوارع ينتظرون إشارة منى . وخلال دقائق سيفاجئون حراس القصر النائمين ، وينهبون بغداد ويقتلون الخليفة وينصبونى ملكًا .

حسن : (مذهولاً) : كيف أمسيتُ الليلة ! منذ لحظة كنتُ فى الجحيم ، وكل النافورات تمطر نيرانًا ودمًا .

رافع : تعال يا حسن ، فأنت جئتَ فى ميعادِكَ ، الفجر البارد الذى سينهى نهار المعربدين المظلم سيكشف الزرقة فى الحال . كأس واحدة من الخمر تضمن انتصارى ، أيها الضيوف ،

ولذلك لابد أن أبتعد وأظفربها ، ويجب أن تناموا وتضجعوا بعيدًا عن خراب بغداد . وعلى الأقل ستقولون هذا لمضيفكم - قدم لنا خمرًا معتقة .

(الغلمان يقدمون كأس الخمر ، الخليفة يرفضه)

(إلى الخليفة) : ألن تشرب يا مولاى الخليفة ؟

الخليفة : إننى أقتدى بالنبى .

رافع : ما الخمر التى تصنعونها فى صحارى مكة ، أو على تلال المدينة ؟ آه ، لو أنه تذوق خمر سوريا أو خمر الجزر ، فسيكون الكتاب قصيرًا وفيه كل تلك الأشعار الغثة .

جعفر : تعال يا مضيفى ! فأنا سأضمنك فى كل الحالات .

فتوجد صداقة للأبد بين هؤلاء الذين شربوا الراح معًا .

سواء أكانوا قتلة أم لصوصًا أو نصارى .

مسرور : يا مضيفنا ، يومًا عندما يراق دمك سأشرب منه لذكرى كأس الخمر هذه فى صحتك (يشرب) .

رافع : (بتهكم) :أنتم ثلاثة زملاء ابتهاجًا بالمزاج الرائق .
(يشرب) أشكرك أيها الغلام ، سأشرب لأجلك .

حسن : سأشرب لأنسى المرأة ، ولكن هل هذه الكأس الصغيرة كافية ؟

رافع : لا عشرة ، ولا عشرة آلاف كأس مثل هذه ، إنْ كنت عشقتَ . فالليلة سأملأ كأس النسيان بدم خليفة بغداد . يا إخوان هل تكفى هذه الكأس ؟

حسن : (فى رعب) : لا تدعونى أخًا ، فأنت إنسان متوحش ، لأنك تتحدث عن إراقة أقدس دم فى الإسلام !

رافع : عندما تُلوثُ المناصب العليا ، عندماَ يصيرُ المقدس غير مقدسٍ ، عندما يُصبح العدل كذبًا ، عندما يجوع الشعب ، عندما يصبح الأكثر غباءً فى الدنيا فى أعلى المراتب والمناصب ، حينئذ يجرؤ اى رجل على الحديث عن إراقة أقدس دم فى الإسلام .

الخليفة : وأيضًا عندما ينتقم رجل من الخليفة ويدعى على امرأة من أهل بيته .

مسرور : لماذا تريد أن تُسمره حيًا فى التابوت ؟
قُصَّ علينا الحكاية !

جعفر : قُص علينا ، حتى لا تجعلنا نَظُن أنك مجنون أو مهرج .

الخليفة : أخبرنا عن المرأة ، وما الضرر الذى جلبناه لك منذ تولينا الحكم ؟

رافع : (بعد تردد) ما الضرر الذى جلبته لى ، تخفف الثقل عن قلبى ، فسأخبرك بطرف من قصتى
اسمى رافع .
جئت من جبال بعد الموصل ، حيث يتجول الرجال أحرارًا ، والنساء سافرات . هناك خُطِبتْ إلى نرفانا ، فتاة جميلة حكيمة .
ولكن قبل زفافى بيوم تذكر حاكم الموصل بلدتى فغزاها بألف من الرجال . غنائم قليلة التى أخذوها من قريتنا ، ولكنهم قبضوا على نرفانا وهى تمشى وحدها بين غابات الصنوبر و حملوها بعيدًا .
عندما سمعتُ هذا وثبتُ على حصانى وعدتُ إلى الموصل ، واستعددتُ لأذبح حكام المدينة و كل السكان فردًا فردًا ، لو أصاب نرفانا أى سوء .

ولكن عرفتُ هناك أنها أُرسلتْ فى الحال إلى بغداد ومعها سفينة محملة عبر نهر دجلة .

استأجرتُ حينها رجالاً أولي قوةٍ ليجدفوا إلى هناك .

عندما وصلت بغداد بعد نهاية ثلاث ليالٍ من التجديف . خرجتُ مثل النَمر من القارب مع تباشير الفجر ، وجريتُ فى شوارع بغداد مثل المجنون ، أصرخ « أين سوق النخاسة » دلونى على طريقه يا ناس !

سوق النخاسة ، يا سوق النخاسة ! وفجأة استدرتُ إلى ركنٍ فى السوق الذى وصلته ، كان مثل البستان مليئاً بالفتيات اللاتى كن فى ثياب رائعة ، وتحلقن فى مجموعات مثل الزهور فى أحواض الحديقة ، والبعض الآخر مثل السوسنات المكشوفة جريت حول السوق لأعثر على نرفانا ، كل النساء سخرن منى بصوتٍ عالٍ ، لمحتُها واقفةً هناك ، وهى التى لم ترتدِ النقاب من قبل ، كانت المرأة الوحيدة المنقبة فى السوق ولأنها أقسمتْ أن تقضم شفتيها لو أن سيدها لم يسمح لها بأن تتنقب !

ولكننى عرفتُها من جمال يديها ! « أيها التاجر ، ألف دينار للمرأة المنقبة . » ولكن التاجر ضحك بطريقة جعلت التجار يوافقونه على طلبى ، وطلب ألفى دينار و لذلك شريتُها بذهب هو دم قلبى ، فرفعتْ حجابها وغنّت فرحًا وطَوقتْ عنقى بيديها فصفقت كل الفتيات فى السوق .

ولكن فى هذه اللحظة دخل السوق غلام خصى زنجى ، طويل شديد القبح لدرجة تجعل الشمس تظلم والطيور تصرخ رعبًا على الأشجار . انحنى بين يديه كل التجار . وجاء إلى تاجر وصرخ : « لماذا تبيع هؤلاء السبايا قبل أن يختار منهن الخليفة ؟ »

ثم تحول إلى نرفانا وقال « عودى إلى مكانى » .

صرختُ « إننى قد اشتريتها » . ولكن الخصى قال « اشترِ نفسك ، سآخذها للخليفة » .

وفجأة امسك اثنين من العساكر بنرفانا ، جردتُ سيفى وكان على وشك أن يقطع الخصى ألف قطعة ، ولكن نرفانا أشارتْ إلى ، ونظرتُ فإذا أنا محاط بأربعةِ رجال مسلحين وتصرخ نرفانا

بلغة بلدى ، بينما هم يحملونها ويبتعدون
« سأموت ، ولن يلوثنى أحد أنقذنى حيةً أو ميتةً
عاجلًا أو آجلاً ، وانتقم لى من الخليفة ،
ولو أكلتْ الغربان أحشاءه ! »
تلك هى قصتى ولهذا السبب ، سأُسمّر الخليفة
فى تابوته موثوقًا حيًا ، ومفتح العينين .

الخليفة : (فى رعب) : موثوقًا حيًا ، ومفتوح العينين !
إنك لشيطان !

مسرور : هذه كل القصة ؟

جعفر : أتمزق الإمبراطورية من أجل شرف فتاه ؟

الخليفة : (فى غضب) : وتضع عاطفتك التى لا قيمة لها
فى درجة مقابلة لبهاء الإسلام و فخامته .

رافع : أ هارون هذا هو بهاء الإسلام ؟ أرخاء شعبه
والعبيد موردوا الجبين فى سرايته ، وسعادتهم
سمكة فى نافورته الفضية ؟

جعفر : خيبك الله .

رافع : لو أراد الله ! وداعًا يا ضيوفى . سأذهب لأنتقم
لنرفانا وأغسل بغداد بالدم .

جعفر : وماذا عنا ؟

رافع : رائع لكم ، إنكم ضيوفى وأنتم أغنياء وفخورون

ومشهورون وتستحقون التدمير و لكنكم آمنون
فى هذه الحجرة مثلما تكونوا آمنين فى قفص
من الحديد ، فقط ستسمعون ، و كأنكم فى
حلم تحطيم وسقوط تمثال الطغيان .

الخليفة : (إندفع لوقفه) : بالذى خلق السماوات
والغيلان التى تأكل لحوم الناس ، لن تذهب
ولن نبقى هنا .

رافع : فكر مرتين قبل أن تمسنى !
(يقفز رافع خلف المدخل . اصطف المعدمون
والنساء بجوار الحجرة ، وانعزل الضيوف فى
وسطها ، ومن خلف عمود يظهر رامى سهام
بقوس مشدودة موجهة إلى الضيوف
المرتجفين) .

كورس المعدمين والراقصات : اليوم ، السذج الذين يصابون
ببرد فى الصيف سيطيرون للشتاء فى القمر
العاصف

اليوم ، جداول الماء اللامعة الصغيرة
ستشتعل نارًا من الصباح القادم فى التو .
اليوم ، الموسيقيون وشعراء البلاط
سينظمون أشعارًا جديدة لألحان خاصة .

اليوم ، الخليفة هارون .
اليوم هارون ، الخليفة الأشد مقتًا
سيجدون أن الخلافة مضى زمنها

رافع : (يصمت المغنون بإشارة من يده إلى الضيوف)
ألا يسألنى أحد لماذا سميت هذه الدار بالدار
ذات الحيطان المتحركة ؟

الخليفة : لقد سألت هذا السؤال .
(تسقط صفائح معدنية لتغطى فتحات المداخل
والضيوف الأربعة أحيط بهم تمامًا .)

رافع والمعدمين والنساء : (من خلف الأجزاء المعدنية
يصيحون) : أجيبوا .

جعفر : هذا يوم عصيب !
(المعدمون يسيرون على موسيقى عسكرية)

أصوات المعدمين (تترد) : اليوم هارون الخليفة الأشد مقتًا
سيجد أن الخلافة مضى زمنها !

جعفر : (يستمع إلى الحائط) : لقد تركوا الحجرة لكم .
أخيرًا أصبحنا وحدنا . دعنا نصيح ربما سِمَعنا
من فى الشوارع .

مسرور : (يدق على الحائط) : آه ، المساعدة ،
المساعدة يا أهل بغداد !

الخليفة في خطر ! الخليفة سجين ! . . .
اصعدوا وأنقذوا الخليفة ، سيد الناس ، وميزان الدنيا !
(صمت)

الخليفة : ليس هناك صدى لإجابة . . .

جعفر : نسيت أن هذه الحجرة مرتفعة عن الشارع !
الجانب الأخر يمتد إلى حديقة هذه الدار الخالية
(يندفع الخليفة وجعفر ومسرور يدورون كأنهم يبحثون عن مخرج من هذا السجن و يقرعون الحوائط الحديدية ، يأخذ حسن مكانه على السجادة)

الخليفة : يا الله ! أهذه الحجرة صندوق فى داخل صندوق مثل اللغة الصينية .
وهذا الرجل سيفاجئ عساكرى فى قشعريرة الفجر ، ويسلب قصرى ويحرق بغداد وسيكتشف شخصيتى و يدفننى حيًا !

جعفر : وا حسرتاه ، يا مولاى ! ماذا سنفعل ؟

الخليفة : انك لكلب قذر ! أنت كومة من الروث !
اجعلتك وزيرا لتسألنى المشورة أم لتسديها إلى ؟

ابحث واستكشف ما يجب أن تفعله ! تركتنى
أقع فى الشَرْك ، والآن تهتز وترتجف وتتمايل
وتتراقص مثل حوض من الحامض على ظهر
بعير حرور ! مملكتى ستتقلص من اثنتى عشرة
ولاية إلى اثنى عشر ذراعًا مربعًا ! رعيتى ستهبط
من ثلاثين مليونًا إلى ثلاثة أشخاص .

ولكن بسم الله ! أحد رعاياى « سياف » وما شاء
الله ! الآخر يستحق الإعدام وإن شاء الله إن لم
تُدَبِرْ رأسكَ حالاً خطةً عملية للهرب فإنها
ستتدحرج على كتفيك وتستقر على الأرض .

جعفر : الذى سيحدث سيحدث . ولكن هنا شخص مشغول الفكر ، وبعيد عن ظروف هذه اللحظة فدعنا ندعوه لنستشيره .

الخليفة : أنت يا حسن ! ما الذى يشغل بالك ؟

حسن : إننى أتفحص أبعاد ومربعات السجادة . إنها صناعة رخيصة ، صنعتها أيد رديئة وهى نفسها من نوع سيئ .

الخليفة : أ أنت تاجر سجاد ؟

حسن : لا يا مولاى إننى حلوانى .

الخليفة : وأنا الخليفة .

حسن : كما ظن قلبى يا أمير المؤمنين !
(يؤدى الطقوس المعهودة)

الخليفة : ألا تستطيع أن تعطينى شعاعًا واحدًا من الأمل للخلاص يا حسن ، يا حلوانى ؟ وإن لم يكن فإن مسرور سيقطع رقابنا ، مبتدئاً بى .
لا أريد أن اسقط فى يد هذا الرجل حيًا .

حسن : ولكن أ أجرؤ ! أنقذنى ! ماذا عن الرجل الذى وضعنا فى هذا الدلو سيعرف أين نحن ويأتى إلينا .

الخليفة : ليس ذلك بذى جدوى . ليس ذلك بذى جدوى سأعتمد على رحمة رافع أكثر من اعتمادى على هوى إسحق . مسرور ، استلْ سيفكَ يا مسرور فليس هناك أمل .

حسن : عفوك عن خادمك . هناك أمل ! انظر إلى النور .
(يشير إلى الشق بين قاع الحائط الحديدى وأرضية الحجرة تجاه الشرفة)

الخليفة : وحق حمرة نيران جهنم السبعة . نحن لسنا فئرانا . الفأر لا يستطيع أن يمر .

حسن : ولكن ماذا ، يا مولاى ، عن الرسالة ؟

الخليفة : رسالة ؟

حسن : نكتب رسالة بالمداد الأسود على ورقة ، ونسقطها فى الشارع .

الخليفة : آه يا جعفر ، إنك لرجل ساذج إذا قورنت بحسن !

أخرجْ قلمكَ واكتبْ . حَذِّرْ رئيس الحرس .
حَذِّرْ الشرطة .
صِفْ له حالنا . اعرضْ حكم « الاقاليم الثلاثة » على الرجل الذى سيلتقط الرسالة .
اكتب بخط واضح وبسرعة فإن الوقت يجرى .
اكتبْ وسوف ينقذوننا ، اكتبْ لإنقاذ بغداد ،
اكتبْ من اجل أمنْ بلاد الإسلام !
حسن يا حلوانى . لو تم إنقاذنا سأملأ فمك ذهبًا !

(جعفر يكتب على ورقة طويلة ، ثم يغرزها فى الشق)

حسن : لا ! هنا فى الركن ، لأنه لا توجد شرفة والحائط ينزل على خط مستقيم على الشارع .

(يقذف مسرور الورقة للخارج بسيفه)

الخليفة : والآن كيف نستغل الوقت ونحن فى انتظار الرد ؟

جعفر : سأفكر فى تغيير شؤون البشر وتحولهم .

مسرور : سأشحذ سيفى على فخذى .

حسن : وأنا سأدرس قبح صناعة هذا النوع من السجاد .

الخليفة : حسن ، سألحق بك ، فأنت رجل ذو ذوق .

(المشهد الثانى)

(انظر الفصل الأول المشهد الأخير)

(مرة أخرى الشارع خارج الدار . شارع النافورة ، شرفة رافع وياسمين متقابلتان . ضوء خافت وبرودة قبل الفجر) .

(على بعد خطوات من النافورة ينام متسولان وهما فى غاية التعب . يرفع أحدهما عينيه و ينظر حوله . تسقط ورقة من أعلى يلتقطها متكاسلاً الرجل الأشد تعبًا)

المتسكع الثانى : أهى مكتوبة يا عبده ؟

عبده : نعم مكتوبة يا على .

على : اقرأ ما هو مكتوب يا عبده .

عبده : لا أستطيع القراءة . أتراني معلمًا ؟

(يطوى الورقة ويضعها فى حزامه ويستعد للنوم ثانية . يمر بهم بعض الناس فى ملابس شرقية فى أبهى حلة لهم)

على : عبده

عبده : إننى أنام

على : أستطيع القراءة . أعطنى الورقة .

عبده : إننى نمت ، انهض وخذها من حزامى إنْ

أردتها . إن رأسى ثقيل ، يا على ، من النوم
مثل سلحفاة فى نوفمبر .

على : إننى ضعيف يا عبده حتى أننى لا أستطيع الحركة . إنها ورقة مكتوبة . وليست شيئًا ذا أهمية . غدًا أو بعد غدًا ستُقْرأ .

عبده : غدًا أو بعد غِد سأستيقظ وأعطيها لك .

(فاصل ، كثير من الشرقيين يمرون)

على : (مع شهقة مفاجئة) : اقذف لى بالورقة ، يا عبده .

عبده : يا حسرتاه ، أ أرسلها الله لك لتزعج الدنيا بها !

(يقذف عبده بالورقة . يلتقط على الورقة بصعوبة كبيرة ويهمهم !)

على : ه ، ا ، ر ، و ، ع ، ج -

آه ، أنت تدعو للذين فى الفردوس ، اليس أنت الذى كتب « ج » ؟ « ن » - لا ، أ أنت « ن » أيها الحرف أم أنك « ك » كتبها سكران ؟

نعم ، فإن المغفل كتبها بذيل ! إننى فى السطر الثانى .

(برجفة) : يا عبده ، من أين جاء هذا ؟

أتتظاهر بالنوم ! اجبنى .

عبده : من السماء . كيف لى أن اعرف ؟

على : دعنى أنظر إلى السماء (يدور هلى قفاه ، وينظر إلى أعلى .)

سأخبرك يا عبده . قذفها مازح من الشرفة .

عبده : لعنه الله ولعنك مثله ولعن قلمه .

ألا يوجد سلام فى العالم ؟

على : وإليك ما كتب ، ألا تسمع يا عبده .

بالنسبة لى فهى الكتابة الأشد غرابة ! « يا من يجد هذه الورقة اعلم أن الخليفة فى الدار التى أعلاك سجينًا وأصحابه ايضًا سجناء وهم على حافة الخطر ، وكذلك كل بغداد . الإنقاذ يكون عاجلاً وسريعًا وفوق ذلك سرًا . تدفع أبواب الحديد من أسفل . أرسل رجلاً فى الحال إلى الحارس يا أيها المحظوظ الذى وجد الرسالة ، ليحذرهم فيحموا القصر ضد معدمى بغداد ، وسأجعلك حاكمًا على الاقاليم الثلاثة توقيع الوزير جعفر . »

(ينفجر ضاحكًا) « الاقاليم الثلاثة » حسنًا إننى أعرف أين هى الاقاليم الثلاثة !

أحد المعربدين الأغنياء الشبان يريد أن يتسلى

بالفقير على ، و كأنها اللعبة التى لعبوها على « عبد الله » الذى ألبسوه ملابس امرأة و وضعوه بين حريم الوزير ، وجاءت مكافأته على قدم وساق . (بصوت منخفض) سأخبرك يا عبده إن الخليفة وأصدقاءه فى هذه الدار ؟ ماذا لو كان هذا حقيقة ؟ من سيصدقنى ؟ ومن أنا كى أنقذ الخليفة ؟ إننى لست متطفلاً على السياسة ؟

عبده : نزلتْ عليك المصائب وعلى الخليفة وام الخليفة . ألا تدعنى أنام ؟ الآن جاء الإزعاج من الشارع ، جهنم ، الشرطة .

(رئيس الشرطة ومعه إسحق)

إسحق : سأخبرك لأعرف بالضبط أين تركتهم .

كان الليل يرخى سُدوله . إنه مكان ما مثل هذا الحى . ربما تكون هذه الشرفة هى التى دخلوا منها و أو تلك ولكن هناك الآف الشرف . انها فوق النافورة ، ولكن هناك مليون نافورة .

دائمًا أقول أنهم يرجعون . ألستَ فزعًا عشرون مرة على أمن الخليفة ؟

رئيس الشرطة : كلا ، وليس هناك مناسبة سابقة أخرته طويلاً عن الرجوع إلى القصر . لقد انبلج الصباح .

إسحق : سأخبرك ، لو وجدته فلن يشكرك أحد أيها الرجل المسلح . أتجرؤ أن تحول بين حاكم المسلمين وعناقه لآخر جواريه أو تريق الكأس من يده التى تبحث عنها .

رئيس الشرطة : اننى أسألك إن كنت قد عثرت عليه ، يا رجل الأدب ، سأضعك على خازوق مرعب .

(يقبض عليه)

إسحق : حيوان وحشى متعطش للدماء ، مغرور ومتنمر ، ابعد يديك الصلبتين القاسيتين.

رئيس الشرطة : يا الله على هؤلاء الشعراء يتحدثون بالقوافى .

على : (الذى استيقظ وسلم عليهما ، ثم تقدم) : أرجوكم يا ساده .

رئيس الشرطة : أ أنت يا حشرة تجرؤ على مخاطبتنا ؟

على : أتوسل إليك راجيًا . . .

رئيس الشرطة : أنا الذى أرجوك ، وإلا شققتك بالسيف من رأسك .

إسحق : ألا ترى أن معه ورقة ، وسلوكه أسمى منك يارئيس الشرطة ؟ دعنى أنظر فى ورقتك آه - آه ، من أين لك بهذه ، أيها المتسكع الفاضل ؟

علي : من هذه الشرفة ، ربما نسى عبده !

رئيس الشرطة : هذا خيط مهم . دعنا نكسر الباب .

إسحق : ليس هناك باب . ولكن . قبل كل شئ أرسلْ إلى رئيس حرس القصر .

رئيس الشرطة : (إلى شرطى) : «على» . (إلى على الآخر ، الذى يجرى ويقول تمام سمعًا وطاعة) .
لست أنت يا غبى . أ أنت الوحيد الذى أسماه الله «عليا» ؟ من أنت حتى أخاطبه أنا ؟ ألا يوجد عشرات الآلاف اسمهم «على» فى بغداد ، أترفع رأسك يا دودة عندما أقول «على» ؟ (إلى رجل شرطة) هذا خاتمى . خذ هذه الورقة واجر بكل سرعتك وأعطها لرئيس حراس القصر

الشرطى : سمعًا وطاعة (يذهب) .

إسحق : (يوقفه) انتظر !

رئيس الشرطة : بأى حقٍ تستوقف غلامى ؟ يا ابن الفاجرة .

إسحق : منذ متى كان لدى رجل الشرطة ذى العصا الطويلة إدراك عملى جيد مثل الشاعر المفكر ؟ قل لهم يا على يرسلون بعض الرجال ومعهم عتلات وسلالم .

رئيس الشرطة : تفكير سليم . إجرِ . . إجرِ يا على !

إسحق : وأنت يا علي الآخر ! من الذى أحضر لك الورقة . . .

علي : سيدى ؟

إسحق : منذ متي قُذفت هذه الورقة من الشرفة ؟

علي : كيف لي أن أعرف الوقت ؟ الوقت الذى يستغرقه من يذهب إلي السوق ويشترى بطيخة .

رئيس الشرطة : وحق الله ، إن هذا الخنزير قد أخذ الورقة فى ساعة حظ ! فبالله عليك أيها الحشرة لماذا لم تجرِ حينئذ إلي القصر ؟

علي : خفتُ ، وظننتها دُعابة .

رئيس الشرطة : دعابة ! أنهار الدم دُعابة .

حياة خليفة بغداد دُعابة !

أمن الخلافة دُعابة !

لقد عرفت أنك خائن من وجهك .

سأعلمك الدُعابة . وأعلمك الخوف .

يا محمد ، يا ضياء ، يا رستم : اقلبوه رأسًا على عقب .

علي : (بينما قدماه مثبتتان علي سارية لتلقى الضربات عليهما بالعصا) : يا عبده أنت الذي استلمتَ

الرسالة أولاً ، فهى رسالتك .

ألم تدعها هى والجائزة ، يا حسرتاه ، كيف يعامل حاكم « الاقاليم الثلاثة » بهذه الطريقة ؟

عبده : أ أنا أقحم نفسى فى السياسة ؟

اضربوه جيدًا . اشنقوه ، فإنه مزعج للناس المسالمين . ولكن بالنسبة لى يا على فإننى أخشى أن تكدر تأوهاتك نومى ، ولذلك سأسلك طريقى بعيدًا عنك . (يخرج)

(يتقدم السيافون بعدتهم ولكن يقفون على مدخل قائد الجيش ، بالجنود)

(تظهر ياسمين فى الشرفة المقابلة فى المنزل المسجون فيه الخليفة)

ياسمين : انظر . . انظر ، يا سليم هناك رجل يضرب .

سليم : تعالى بسرعة ، هذه عربدة أو بعض الشغب ، أسرعى ، اغلقى مصراعى الباب بسرعة .

ياسمين : أنت شجاع حقاً ، ولكنك نعامة فى الحرب . .

(يقفان فى الشباك)

قائد الجيش : (لرئيس الشرطة) : سيدى

رئيس الشرطة : سيدى

قائد الجيش : (يقدم التحية) : قائد الجيش المظفر فى خدمتك !

رئيس الشرطة :(يقدم التحية) : رئيس الشرطة القوية ، طوع أمرك .

قائد الجيش : (منحنيًا) : تشرفنا .

رئيس الشرطة :(منحنيًا) : إننى فى سعادة غامرة .

إسحق : أتوسل إليكم أيها السادة أن تقيموا الحفل فى سرعة .

رئيس الشرطة :سيدى عندما يتقابل رجال العمل والعقل فإن رجل الأدب يكون مكانه بين أوراقه وأقلامه .

قائد الجيش : فى هذه اللحظة ! قبل أن تتقدم ، يا رئيس الشرطة ، هل لى أن أسأل لماذا يقاسى هذا الرجل آلام التعذيب ؟

رئيس الشرطة :منذ تنازلت حضرتك عن البحث عن الأسباب الحقيقة التى لدى الشرطة .

قائد الجيش : لابد أن تكونوا فضوليين حقًا حتى تسمح لمثل هذه الجلبة التى تحدث فى غير أوانها خارج الدار التى فيها مولانا الخليفة سجين . لقد فشلت أى فرصة لإنقاذهم بسرعة .

رئيس الشرطة :(يستل سيفه ويشهره فى حركة دائرية) : أنت ساذج ، وأنت خنزير الروث وأخو المصائب . فليأخذك حينئذ مع فرقة اللصوص المشردين

التى تدب على الأرض ، قبل كل شئ . أنا قد قبضت عليك بسبب جريمة غير معلومة .

قائد الجيش : أشهر سيفك ، فأنت كبير اللصوص وزعيمهم ، أنت قَيْد الأولاد الصغار وغُلهُم ، و أنت رعب السوق الآمن . سأعلمك كيف تهين وتحتقر سفاحين المضيف الفاجر .

إسحق : (يعترض المتقاتلين) : أهذا وقت الشجار البذئ ؟

بسرعة ، أين السلالم ؟

جندى : (فى أبهة) : فى الخلف يا سيدى فى الخلف .

(تمد السلالم)

رئيس الشرطة : (إلى شرطى) : مد السُلم .

قائد الجيش : (لجندى) : ضع السُلم .

(كل منهما يصعد سُلمه فى نفس الوقت ! يقرعان الحائط الحديدى ، فيجابان ! اطلبوا الرافعات والعتلات التى جهزت ، والمساعدات التى وصلت . يرفع الحائط الحديدى . الخليفة والبقية يجلسون ظاهرين فى سلام فى انتظار حريتهم ، المصباح لم يزل مشتعلاً)

رئيس الشرطة : مولاى الخليفة !

قائد الجيش : القائد الأعظم !

رئيس الشرطة وقائد الجيش (معًا) :

لقد أنقذتك يا سيدى .

(كل واحد يحاول أن يمسك بالخليفة)

رئيس الشرطة : الشرطة الشريفة ! . . .

قائد الجيش : الجيش العظيم .

رئيس الشرطة : أعظم المجد لعبدك الذليل ، إنه أنقذ مصباح العلم . سأحملك وأنزل بك .

قائد الجيش : إسمح لى ، أيها القائد المغوار ، أن أكون أول من سلم عليك ، على الرغم من أننى أخشى ان أحجب الشمس بيدى القذرتين ، لكن أنا الذى قدمت طلبى السابق .

(يبعدهم مسرور ، ويساعد الخليفة على النزول على السلم يتبعه جعفر وحسن . يصيحون « عاش الخليفة » . يقدم له الجنود التحية العسكرية . صمت)

الخليفة : أ قصرى بخير ؟

مسرور : مولانا وسيدنا نأمل ذلك .

الخليفة : وشعبى .

جعفر : حولك ، يا سيدنا ومولانا .

ياسمين : (من الشرفة) : وحق النبى . حسن هنا مع الخليفة !

الخليفة : أكلنا تم إنقاذنا ؟

مسرور : كلكم بعناية الله .

جعفر : وبحكمة حسن .

الخليفة : وحذر الحارس .

قائد الجيش : كلهم كانوا فى غاية الحذر وهم فى أماكنهم يا مولاى .

الخليفة : الله ! أسلم أعداءنا لأيديهم ! ودع حسن يأتى معنا !

حسن : (يركع أمامه) : مولاى .

الخليفة : (يرفعه) : ارفع رأسك يا حسن . إن ما حدث بالأمس كان غريبًا أنقذ حسن فى هذه الليلة ، بذكائه وحسن تصرفه ، حياتى وأنقذ المدينة من خطر كان ينتظرها أكبر من موتى .

الجموع : سَلِمتَ لنا .

الخليفة : ومنِ الآن ، وفى حضرة الجميع ، فإنى أعين «حسنًا» فى بلاطى وأمنحه رتبة بين رعيتى لا يسبقه فيها إلا جعفر ، وزيرى .

ياسمين : (فى شرفتها مع سليم) : يا الله !

الجموع : الشرف لحسن . الشرف لحسن .
حسن : مولاى إننى أبيع الحلوى فى السوق .
جعفر : إنك الآن لابد أن تصنع حلوى الأزهار والرخاء
إسحق : (إلى حسن) : لماذا يا حسن !
أنت الرجل صاحب العود المكسور .
الخليفة : أهو صوت إسحق ؟
إسحق : نعم إنه صوت إسحق الذى طالما غنى لك وأشجاك .
الخليفة : لماذا هجرتنى يا إسحق ، وفررت بليلٍ ؟
لا أدرى إن كنت سأسامحك ؟
إسحق : سئمت منك يا رشيد .
الخليفة : وهل أنا سئمت منك ؟
إسحق : يومًا ما قريباً كان أم بعيداً ، سوف تذبحنى .
الخليفة : وماذا عن اليوم الذى انبلج فجره ؟
إسحق : الفجر هو الساعة التى يموت عندها معظم الناس .
الخليفة : سلمنا بموتكَ يا إسحق ، فلابد أن تركع .
(لمعان أحمر فى الأفق)
إسحق : (بينما هو راكع بهدوء) : لماذا افترشوا سجادة الإعدام على مرمى البصر ؟

مسرور : إنه فجر الخليفة .
جعفر : فجرك يا مولاى .
إسحق : فجرك يا سيد الدنيا فجرك ،
الساعة التى يتفتح فيها السوسن فى مروجه ،
الساعة التى ترفرف فيها الأجنحة الرمادية خلف
الجبال ،
ساعة السكون ساعة سماع النوافير ،
ساعة الأحلام المشرقة والرياح المقرورة ،
الساعة التى يستيقظ فيها الحب الفتى على كتفٍ
أبيض ،
يا سيد العالم ، الفجر الفارسى .

* * *

فى تلك الساعة المشرقة يا سيدى !
سيطارد تجارك الصباح فى قاع البحر ،
الشجعان الذين يخوضون حربك ، يستلون
سيوفهم ،
والعبيد اللذين يعملون فى مناجمك ، يندفعون
للعمل ،
وتساق تحت قدميك كنوز الدنيا ،
سواد الليل وحمرة الشفق .

الخليفة : أغمد سيفك يا مسرور ! أتقتل صاحبى ؟

مسرور : سمعًا وطاعة .

الخليفة : لابد أن أذهب على وجه السرعة إلى قصرى .
ولكن يا إسحق سأترك لك الاهتمام بهذا الرجل
الذى أرسل لى فى الدلو ، والذى أنقذ بغداد ،
عَلمه مراسيم الاحتفالات والتقاليد .
أجاهز الكرسى الخاص بى ؟

الحمالون : جاهز يا مولانا .
(يخرج الخليفة على الكرسى ، جعفر
والجموع ، يشير إلى هؤلاء اللذين يريدون أن
يقبلوا قدمى حسن ليتركوه) .

ياسمين : (فى الشرفة المقابلة تضرب سليم على أذنه) :
اذهب ، اغرب عن وجهى أيها الساذج ،
سأنفجر غضبًا ، جعلتنى أكره «حسنًا»
وأمقته ، والآن هو فى طريقه إلى البلاط .

سليم : (مندهشًا) : ياسمين ، ياسمين كيف يتأتى لى
أن اعرف ؟

إسحق : آه ، بسم الله ، لم أنساك أيها الرجل ذو العود
المكسور ؟

حسن : العود المكسور ، العود المكسور ؟

إسحق : هنا اضطجعتَ أنت بجوار هذه النافورة مثل الأموات .

حسن : أ هنا نافورة ؟ أ تلك شرفة ؟ من أنت ؟
لماذا تسخر منى ؟ ماذا تعرف عنى ؟

إسحق : على راحتك يا صديقى ، على راحتك فرأسك متعبة من السرور .

حسن : من السرور ؟ أ أنا أعرف الصواب من الخطأ ؟
أ أنا أعرف إنْ كان الخليفة هو الخليفة ؟
وان كان ذلك الخليفة هو الخليفة ألن يسخر منى أيضًا ؟
أى سرور ؟ دعنى ألقى نظرة على هذه الشرفة للبهجة .
لن أجرؤ على النظر ، أخاف أن تكون هناك . آه إنها هى .
(تأخذ ياسمين الوردة من شعرها ، وترميها إلى حسن ، ثم تنسحب إلى الداخل)

إسحق : أ أنت محظوظ فى الحب مثلما أنت محظوظ فى الحياة ، يا حسن ؟
ولكن دعْ عنك ذلك . فبسلوكك المِعَوج أصبحت وزير دولة ، الآن أنت موضع الاهتمام .

حسن : إننى قادم . الوردة مسممة .

إسحق : يا صديقى ، أهذا حديث عاشق ولهان ؟

حسن : أ أنت صديقى ؟ أنت يا إسحق ، مغنى الإسلام الأشهر .
إن كنت صديقى ، أتحب هؤلاء الذين كانوا أصدقاء لى قبل اليوم ؟

إسحق : الليلة الماضية وجدتك نائمًا كجثة عفنةٍ تحت هذا الشباك ولكنى عرفتُ من عودك وسمتك أنك شاعر مثلى ، وكنتُ حزينًا لأنى ظننتُ أنك ميت .

حسن : شاعر ؟ أنا ؟ إننى حلوانى .

إسحق : أنت صديقى يا حسن .

حسن : خذ هذه الزهرة إذاً . هذه الزهرة اكثر مرارة من الحنظل . من نظرة يا صديقى إن لم أرها بهذه الزهرة كنت سأقول أنها كرهتنى وأحبتْ شخصًا آخر ، حسنًا . لها الحق أن تحب وتكره . وتستطيع أن تكره وتحب . ولكن الآن آه ، أخبرنى يا من يفترض أنك صديقى ، هل الشعراء كاذبون ؟

إسحق : يا حسن لكن ما نقوله كذب أبيض .

حسن : لماذا تقول أن للجمال معنى ؟ ولماذا لم تقل أنه أجوف مثل الطبلة ؟
لماذا لم تقل أنه يباع ؟

إسحق : كل هذا الوهم لأن فتاة جميلة ألقت إليك بوردة .

حسن : الليلة الماضية ، صنعتُ السكر وهى ألقتْ إلى بالماء !
هذا الصباح صنعتُ الذهب فألقتْ إلى بالوردة .
فضاء ، فضاء ، يا صديقى ، كل السماء الزرقاء

إسحق : تعال ، انْسَها وتعالَ . سأدخلك واعلمك فى متُع البلاط

حسن : أنسى ، أنسى ؟ يا وردة الصباح ويا وردة المساء ، عبثًا أَنت لى ، أ أنت ستذبلين على القباب السماوية السوداء أو الزرقاء . هذه الوردة قد ذبلتْ وأنها لا شئ بالمرة ولكنها الدنيا كلها .

(ستار)

الفصل الثالث

المشهد الأول

(حديقة قصر الخليفة . أمام جناح الخليفة ، حسن فى أبهى حلة ، متقلدًا سيف الشرف)

الخليفة : ما أخبرك به رئيس الخصيان هو كل الحقيقة ، يا حسن أُسِرَ مضيفنا الآخر ، ملك المعدمين ، وخُبِئ فى دهاليز السجن . فى المساء سأحكم عليه وعلى كل جماعته فى الديوان الرسمى ، أما أنت فستظهر فى الديوان فى أحسن الملابس الرسمية ، وتجلس عن يمينى .

حسن : وا حسرتاه ، أيها الجلال الباهى ، خادمك رجل أصوله متواضعة وأمانيه محدودة وسأتبع وصية الشاعر القديم :

أعطِ كل يومك للأحلام وكل ليلك للنوم .

ولا تدْع نمر الطموح يفترس أغنام الرضا .

مَنْ أنا حتى أفتح فمى فى الديوان ، أو أتبختر بين الحاشية فى الثياب الرسمية . اعفنى يا مولاى من هذه الأشياء . اجعلْ فضلك مثل

الحائط الذهبى الشاهق ، واحفظ حياة خادمك من رياح المشكلات . ولكن مساءً إذا نزل الغيث من السماء ، فادعُنى إلى جناح هادئ ، لنسمع إسحق يعزف ويغنى ، حتى تنسى أنك سيد الدنيا وأنسى أنا أننى تاجر متواضع الأصل ، حتى نستكشف حديث الأشياء التى ليس فيها حياة ، فنعرف ما يقوله طين الأرض لجذور أشجار الحديقة .

الخليفة : لا تخفْ ، ستسكن المكان الذى تركته لك فى سلام وسكينة ، وتتأمل حتى تتعفر لحيتك بالتراب وتصبح أكثر حكمة من أفلاطون . وفى هذه الحالة ستكون شاهدًا ولابد أن تحضر فى ديوانى ، أنت لذلك فحسب . وستدعوننى أمير المؤمنين والمصلح وظل الله على الأرض ، وطاووس العالم وبهجة الدنيا .

لكن فى هذا البستان أنت حسن فقط ، وأنا صديقك هارون الرشيد ، ويجب أن تخاطبنى فقط كصديق .

حسن : (يقبل يد الخليفة) : مولاى إنك تتحدث بعطف ، ولكننى خائف من كل ذلك.

الخليفة : ولكن . . . . لماذا ؟

لأننى إنسان عطوف أحبُ الصدقَ فى الناس كما أحبُ البساطة فى قصرى . هناك لن ترى على الأرض إلا سجادة واحدة - ولكن هذه السجادة مثل الروح . وقد ترى الحوائط وليس عليها إلا ستارة واحدة ، ولكن هذه الستارة مثل غروب الشمس فى البحر . وقد ترى الحجرات بيضاء لأنها طُليت بالرخام المكشوف .

وحاشيتى التى ترتدى ملابس كأنها أزهار . ولذلك فإننى أتجنب التعقيد فى أمور الحوائط والأرضيات ، الستُ بسيطًا فى أمور القلب والروح ؟ الستُ أنا صديقك يا حسن .

حسن : مولاى ، أرى صداقتك مثل قصرك عامرة بالفتنة والجمال وسحر الدهشة . وكما تعرف فأنا مجرد رجل من شوارع بغداد فحسب ، وهناك يقول الناس « قصر الخليفة ، ما شاء الله ! الحوائط مطلية ذهبًا ، والأسقف مطلية فضة ، والحمامات منقوشة باللون الأزرق التركوازى » وتسمع الرجال يقولون هذا ، زمن طويل قد مضى منذ ضرب حسن الحلوانى ذقنه قائلاً

لنفسه : « يا حسن ، قاعتك الخلفية أقل قبحًا من ذلك ، بحوضها لغلى السكر ، وسجادتها الرائعة المجلوبة من بخارى والمعلقة على الجدار ، وبالشهور الإثنا عشر التى عَمِلت فيها فى الحوض أغلى السكر لأشتريها . »

الخليفة : أى رجل أنت للشِعْر والسجاد ! عندما تطأ قدمك سجادةً تسقطْ عينيك على الأرض لتعرف نوعها وعندما تسمع قصيدة من الشِعْر ترفع عينيك إلى السماء لتسمع اللحن .
من رأى حلوانيًا مثل هذا !
متى تعلمت الشِعْر يا حسن يا حبيبى ؟

حسن : فى تلك المدرسة العظيمة ، فى سوق بغداد .
بالنسبة لكَ يا سيد الدنيا – يا مولاى – فإن الشعر تسلية ملكية ، أما بالنسبة لنا فهو تحرر من العذاب . ولذلك جعل الله الشِعْر أرخص شئ يُشترى وأبسط شئ يُفهم .
يُعْطى الناس أحلامًا فى الليل ، فيتعلمون نهارًا كيف يحققونها . الناس الذين يقومون بأعمال شاقة فى حاجة ماسة إلى هذه الأحلام .
كل حى فى بغداد يشتاق للشِعر . ما الذى يجمع

الجموع ليسمعوا ملحمة عنترة تُغنى فى الشوارع فى المساء ؟ لقد رأيت العمال البسطاء يبكون والقصابون يدفنون وجوههم الغليظة بين أيديهم !

الخليفة : والذى رفع السماوات بغير عمدٍ الان فقط عرفتُ أن فى هذا يكمن سِر قوة الإسلام ؟ فى قصائد الشعر وفى تلك الحكايات نعيش الذكريات الخالدة لهذة المدينة .

عندما أكون أنا وأنت هباءً ، وعندما يبنى البدوى كوخه في مكان بستانى ويجر محراثه خلف بقايا قصرى ، وبغداد حينئذ كلها أصبحت والأرض سواء . آه إن كانت الأمة ستنهض بشعبها الذى نَسِىَ الشِعر ، أو بشعرائها الّذِينَ نسوا الشعب ، على الرغم من أنهم أرسلوا سفنهم لتدور حول جزيرة سرنديب وجيوشهم عبر مرتفعات هندستان ، على الرغم من أن مدينتهم أعظم من بابل القديمة ، وأنهم حفروا فى الأرض منجمًا عمقه فرسخًا أو صعدوا للنجوم على الأجنحة - فماذا فى ذلك ؟

حسن : سيكونون نقطة سوداء فى العالم !

الخليفة : حسنًا قلت ! عن طريق الحظ أنقذتَ حياة الخليفة ، يا حسن ، ولكن بحديثك هذا فزت بصداقة هارون الرشيد . حقًا فى أى شئ تنظر ، كما لو كنت مسحورًا !

حسن : يا لها من نافورة جميلة وحولها دولفين الفضة هذا وتمثال لغلام عار .

الخليفة : لقد نحته رومانى من القسطنطينية جاء سائحًا أيام والدى الخليفة المهدى (طيب الله ثراه وجعل الجنة مثواه !) . أنجز النافورة لأبى الذى كان فى غاية الرضا ، ثم سأله أبى إن كان يستطيع أن يصنع مثل تلك النافورة بنفس هذا الجمال فأجاب الرومانى الغريب فرحًا : « مائة » . حينئذ صاح أبى : « اصلبوا هذا الخنزير . » هذه النافورة التى صُنِعتْ لى لابد أن تبقى هى الأفضل فى الدنيا .

حسن : (غاضبًا) : أيتها النافورة ألم تتدفقى دمًا ؟

الخليفة : لماذا ؟ ماذا دهاك يا حسن ؟

حسن : لقد حَكيتَ قصة الموت والطغيان يا سيد الدنيا .

الخليفة : (فجأة متجولاً فى غيظ) : أتتهم أبى أنه كان طاغية لأنه ذبح شخصا غريبًا نجسًا ؟

حسن : ينحنى قائلاً : لم أقصد الإهانة يا مولاى . حياتى تحت قدميك ولكن منحتنى الجرأة لأتحدث إليك كصديق .

الخليفة : ولا إسحق ! ولا إسحق نفسه الذى كان صديقى لسنواتٍ يجرؤ على الحديث معى بهذه الطريقة .

(ينفجران ضحكًا) انهض يا حسن .

وقاحتك فيها جمال مشوه كأنها فخذىّ فيلٍ .

حسن : سامحنى ، سامحنى .

الخليفة : سأسامحك من كل قلبى ، ولكْن أنصحكَ ، أن تتحدث على قدر شخصيتك وعلى قدر الأشياء التى تفهمها ، ولا تترك « بستان الأدب » من أجل « قصر العمل » .

ولا تشغل بالك بطغيان الأمراء ، فربما تصاب ببرد ، هناك ، من رياح « المشكلات » تفرغ ، يا حسن للشعر والسجاد ، ولا تُشر للسياسة ، ومدرسة سوق بغداد غير كافية لتعلمك شيئاً .

حسن : (حسن حزينًا) : سمعًا وطاعة .

الخليفة : الآن ، الآن ، فكر فى الأشياء المبهجة . ألا حظتَ هذا الجناح البسيط فى مقدمة المكان الذى تحدثنا فيه طويلاً ؟ هذا هو منزلك الصغير يا حسن الطيب ، ستجد فيه المأوى ، ويحميك من الرياح التى تمقتها وكل العواصف الأخرى التى تضر وتسبب الزمهرير .

حسن : منزلى الصغير ؟

الخليفة : اخترته لك لأننى اعرف ما تحب . هنا فى هذا الركن البعيد من البستان لن تسمع صخب الشارع ولا ضجيج القصر ، ولكن ستتمتع بالهدوء والاسترخاء التام .

حسن : (بطرب وفرح) : ألى هذا المنزل الصغير ؟ أ لى هذا الباب المعطر الجميل ؟

الخليفة : اقرعه وانظر ماذا فيه .

(حسن يقرع الباب . يُفتح الباب ، يظهر كافور وصفصاف وعرعر وطرفة طرفة هو الأصغر صوته حاد يشبه إلى حد ما صوت الفأرة)

كافور : (للخليفة وهو منحنٍ) : يا أمير المؤمنين !

صفصاف : (للخليفة وهومنحنٍ) : يا مصلح الخطأ !

عرعر : (للخليفة وهو منحنٍ): ياظل الله على الأرض .

طرفة : (للخليفة وهو منحنٍ) : يا طاووس العالم وبهجته !

كافور : (لحسن وهو منحنٍ) : يا سيدى !

صفصاف : (لحسن وهو منحنٍ) : يا سيدى !

عرعر : (لحسن وهو منحنٍ) : يا سيدى !

طرفة : (لحسن وهو منحنٍ) : يا سيدى !

(يقفون ، رؤوسهم فى اكمامهم فى طريق المدخل للباب)

حسن : ولكنهم غلمان ملك المعدمين ، الَّذين حممونى وطيبونى وأرجعوا النور لعينى ، عندما أخذتهما المرأة ورمتهما إلى الأبد .

الخليفة : أنفذتهم من حطام منزل سيدهم بينما حفظهم أدبهم وسلوكهم المهذب ، وقد وهبتمهم لك منذ عرفتُ أنك تحتاجهم وتفضل خدمتهم لك .

حسن : كثير من الوجوه التى لا تبدو غريبة بالمرة على سترحب بى فى منزلى (ينحنى ويقبل يد الخليفة)

الخليفة : لا تقل شيئًا . قلم السعادة كتب على وجهك العرفان بالجميل (للغلمان) هل كل شئ جاهز ؟

كافور : (فى أُبهة) جاهز ، يا حامى حمى الإسلام .

صفصاف : كل شئ معد ، يا سيدى .

الخليفة : كفىَ- رافقوا سيدكم إلى منزله وبينوا له كل شئ بإخلاص .

ادخل معهم يا حسن ، حوارنا شائق ولكن الوزير جعفر ينتظرنى ومنذ ساعتين . (بينما حسن على وشك أن ينحنى) لا ، إنه حينئذ هو الذى يأخذ الإذن من أصدقائه .

(يقبل خديه . ينظر إليه حسن وهو يتوارى عن نظره ، حزينًا ثم يذهب إلى النافورة و يتأملها لحظة . ثم يتقدم ببطء ناحية الباب الذى أمسكه كافور وصفصاف مفتوحًا له)

كافور : السعد فى قدومك !

صفصاف : وازدهار فى الاقامة !

عرعر : أيام هادئة !

طرفة : وليالٍ طيبة !

المشهد الثانى

غُرف خاصة داخل الجناح . سرير . أثاث فاخر . شباك يطل على منظر فى البستان (يدخل حسن يتبعه غلمانه)

حسن : إذن فى تلك الغرفة ، سأستقبل الضيوف . ولكن لمن هذه الغرف ؟

كافور : للنساء يا سيدى ، عندما ترغب أن تسعد بهن .

حسن : نعم ، نعم لابد أن أزور السوق وأرى . (يحملق فى الأرضية ، بنظرة) بالله ، ما هذا ؟

طرفة : سجادة يا سيدى .

حسن : احدى روائع السجاد الأصفهانى الجديد ، عليها منظر صيد . الأمير . أتباعه . فهود ، وأيائل ، وثلاث نمور ، وفيل - رأسه فقط - يالها من سجادة مدهشة . الأزهار القرمزية فى كل مكان . صلبه رائعة . يالها من سجادة فاتنة . لم أر قبل ذلك لوناً قرمزياً مشرقاً كهذا (فجأة بجدية) أخبرونى أيها الغلمان . . ؟

كافور : سيدى ؟

حسن : حسنًا ، لن نتحدث عنها كثيرًا . كم هى رائعة

تلك النافورة التى فى الخارج برشرشتها البسيطة !

كافور : أرجوك يا سيدى : لقد قال الخليفة لابد أن تتأمل وتنظر فى هذه المرآة ذات الإطار المزخرف خاصة !

حسن : (ينظر لنفسه فى المرآة) : وحق النبى. يالروعة جمالها لولا ارتباك يدى على مقبض سيفى.

كافور : يأمل الخليفة أن تتأمل جيدًا هذه الأريكة الرائعة المزودة بها الغرفة.

عرعر : يأمل الخليفة أن تعجبك هذه الحمامات المُجّملة بالمرمر.

طرفة : يأمل الخليفة أن تستخدم بصورة جيدة هذا السوط الرقيق لتقويمنا.

حسن : سوط. لتقويمكم يا غلمان الفتنة ؟
أ أنا الرجل الذى يفسد حلوى اللوز الجميلة بإضافة خطوط من القرمز عليها ؟

كافور : أراضٍ أنت يا سيدى ؟

حسن : راضٍ ؟ انظر لشجرة السنط هذه التى ترفرف على شباكى، فى إحدى الليالى تأتى بكل رقة

وتلقى بزهورها ، فى ضوء القمر ، تحت
قدمى . ولكنِ لا مكان لإنسان يعيش بمفرده
هنا . بلا شكٍ لابد لى أن ازور السوق . ففيه
شركسيات
فأنا دائمًا أحب الشركسية . لابد أن تكون شابة
نضرة . . .
إننى لم انتهِ من مميزات الحجرة بعد
هذه الصناديق الثلاثة ماذا تحتوى ؟

كافور : هذا الصندوق ، يا سيدى ، يحتوى على ثيابك
الجديدة . وقد طُرِزَ أحدها باللون القرنفلى
وأحزمته من الفضة .

حسن : أهناك كرم مثل هذا !

صفصاف : وهذا الصندوق ، يا سيدى ، يحتوي على ستائر
وسجاد ووسائد الأريكة .
إحدى هذه الوسائد حُشيت بريش خمسة عشر
طاووسًا .

حسن : خمسة عشر طاووسًا ، كل هذه الطواويس
العجماء !

عرمر : أما هذا الصندوق ، يا سيدى ، فإنه يحتوى على
ملاءة جديدة تمامًا لسريرك ، منقوش عليها

أسماك فى كل جزء منها .

طرفة : ذلك السرير . . .

حسن : ذلك سرير وليس صندوقًا . ولكن بلا شك يحتوى أيضًا على ملاءة جديدة جدًا منقوش عليها اسمى .

طرفة : (مرتعشًا) : ذلك السرير فيه أجمل فتاة .

حسن : (يقفز) : ماذا ؟

طرفة : أجمل فتاة . تقول أنها لابد أن تراك وأعطتنى عشرة دنانير .

حسن : أى صوت هذا ؟

ياسمين : حسن (تسفر عن نفسها)

حسن : أنتِ .

ياسمين : جئتُ . اختبأتُ وانتظرتُكَ .

حسن : لماذا ؟

ياسمين : لماذا تختبئ فتاة فى سرير رجل ؟

حسن : (بغضب) : أو تجرئين ! ابقوا هنا يا غلمان . أتركتمونى فى هذه اللحظة ، أ أنتم أغبياء حتى تتركوا هذه المرأة تدخل هنا ؟

(إلى ياسمين) كيف تجرأتِ ؟

ياسمين : أهناك امرأة جميلة تستطيع ألا تجرؤ ؟

حسن : ولكن جرأتكِ حقيرة . فاخرجى من هنا وارجعى إلى سليم .

ياسمين : لقد تركتُ سليمًا .

حسن : تركتِ « سليمًا » لترجعى لى ؟

ياسمين : اكتشفت أن « سليمًا » جبان مغفل . اكتشفتُ أنك رجل ذو ذوق وشجاعة ؟ ولكن ما الأمر ؟ ألستُ شقراء بقدر كاف يجعلنى ألْحق بقوافل الثروة والقوة ؟
(تفرد ذراعيها وصدرها) أهذا لسليم ؟ أم ذلك لسليم ؟

حسن : إرجعى له دون أن تتكلمى ! جعلتِ الدنيا تسود فى عينى . لو كان ساذجًا وجبانًا فما أنتِ إلا عاهرة .
اذهبى وإلا فغلمانى سيقذفون برأسك بعيدًا .

ياسمين : تركت « سليمًا » لأنه أثبت أنه جبان وساذج وفقير وليس له شخصية بالمرة .
وجئت لك لأنك مشهور وغنى ورجل ذو ذوق واليوم الذى ستسقط فيه (لا كان ذلك أبدًا يا سيدى) فأنا بلا شك سوف أتركك . وحتى هذا اليوم ستجدنى مخلصة لك . أنت الذى

دعوتنى – سأحضر لك بضاعة لطيفة .

حسن : أشكرك يا بائعة نفسك . إننى لاأشترى لحمًا ملوثًا . أرجوكِ ابحثى عن سوق آخر ، وبسرعة .

ياسمين : (تفرك وجهها وتقوم برشاقة) : لم أعرف أننى ملوثة يا سيدى . لابد أن المرآة قد خدعتنى . ولكن لابد أن تفحص البضاعة جيدًا قبل أن تؤكد رداءتها . تعاين وتفحص
هل عاينت وفحصت ؟

حسن : (يرجع خطوة) : ابتعدى . . ابتعدى .
لماذا تنظرين إلى ؟ ألتردى كلماتى على وجهى ؟
أو تأملين أن تعرضى نفسك على جزءًا جزءًا فى عناق « سليم » آخر ؟ أرجوكِ ، ومع ذلك وَفِرِي الماء من الإبريق . فنارى لا تحتاج لإخماد .

ياسمين : (متضرعة) : كن كريمًا .
لابد أن يكون صديق الخليفة كريمًا .
إذا جعلتك تغار ، ألن أتعرض لانتقام كبير منك ؟

حسن : إنهضى ، لا تعتذرى ، إرحلى . أ أقولها لكِ ثانية ؟

إن كنتِ تريدين مالاً فالغلمان سيعطونه لكِ عند الباب ؟

ياسمين : إنك لبارد برود الثلج .

حسن : أنتِ صفيقة .

ياسمين : إننى شجاعة . وداعًا . لم أجدك رجل عشق .

حسن : وداعًا ، لا تلوثى ثانية كلمة الحب بشفتيك الملونتين .

ياسمين : (تتباطأ عند الباب) : ولكن ليس هناك كلمات حب إلا وقد قلتها . وعندما يغرد طائر الليل على فرع شجرة تتمايل خارج شباكَكَ ، وظلال القمر تزحف على الأرض ، أستطيع أن أغنى لك أغنية أحلى من الكروان وأرِيَك بياضًا أشد صفاء من القمر .

حسن : آه ، اذهبى .

ياسمين : أ لأننى قاسية لم استطع أن أكون جارية رقيقة ؟
أ لأنك تستطيع أن تشترى جسدى تستطيع أيضًا أن تشترى روحى ؟
أ لأننى من العامة وليس لدى أغانٍ لأغنيها ؟
أ لأننى مخطئة ليس لدى سرٌ لأ كشفه ؟
اذهب للسوق يا حسن واشتر فتاتك الشركسية .

ويومًا ما ستقول :

ياسمين حبى وإنْ كذبتْ على فى الحب إلا أنها افضل من إخلاص هؤلاء الساذجات .

حسن : آه ، دعينى !

ياسمين : هناك آلاف السواسن فى المروج . وآلاف الورود فى البساتين وكلها متشابهة - ولكن لا توجد واحدة فى الدنيا مثلى ، ولا يوجد وجه واحد فى الدنيا كوجهى حيث تتقوس هذه الحواجب وتبرق هذه العيون - وحيث رُكَبِ هذا الأنف هكذا ، وحيث شُقَتْ هاتان الشفتان هكذا .

ليس هناك ذراع آخر تحت السماء له إبط كهذا ، ليس هناك من له تلك الغمازة ، أو هذا الشعر الذهبى الناعم اللامع .

هناك صفوف من الفتيات الفاتنات فى حريم الخليفة وكثير منهن جميلات مثلى ، و لكن ايًا منهن ليست دماؤها مثل دمائى وليس لحمهن كهذا ملتهب وبارد ، وليست أجسامهن كجسمى يتمايل على ساقٍ مثل ساقى (ترمى عباءتها) انظرْ والمس ؟ (تقترب) انظرْ والمس ؟

حسن : (صائحًا يدفعها إلى الخلف) : أيها الغلمان خذوا هذه المرأة !

ياسمين : (بينما يجذبها الغلمان للخلف) : آه ، كم هم قساة غلمانك !

حسن : (إلى غلمانه : امسكوها !

ياسمين : ولكن لابد أن تدعنى أذهب .

حسن : لن أدعك تذهبين .

ياسمين : ما أنت إلا شخص فظ ، المتعة بالنسبة لك لا شئ . سأدع الكره ، دعنى أذهب.
(تحاول أن تهرب)

حسن : (لغلمانه) : أمسكوها .

(كافور وصفصاف يمسكان بذراعيها . ويمسك عرعر بقدميها . يقبض عليها وهى واقفة .
تسقط عباءتها يظهر القميص القصير وسروال الحرير الأبيض الذى عليه نماذج من ورود زرقاء! وخصرها عارٍ . جسمها تقاطيعه فارسية .)

ياسمين : آه ، ماذا ستفعل بى ؟ أنتَ سامحتنى .

حسن : (إلى ياسمين) : نعم لقد غفرتُ لكِ الإهانة وكل ساعات العار ، والله سيغفر لكِ تجارتك

إن شاء . ولكنك ضممتِ جسدكِ الداعر إلى
جسدي - ونفثتِ السم الزعاف على خدى .
والتفتْ أفاعيكِ (سحقها الله !) على صدري .
ولذلك ، استعدى للموت فليس من الصواب ،
أو في صالح البشرية ، أن أتركك تمشين ثانيةً
في فجاج الأرض .

ياسمين : (بهدوء ولكن في رعب) : الموتَ ماذا تقصد
! لا ، لا ، قتل ، لا !

حسن : أتسمعين خرير النافورة - قطرة قطرة - ؟ هكذا
سيسقط دمك على سجادتي و يخضب يدى
بحمرة اشد من الورد .

ياسمين : (مستردة قوتها) : لستُ جَزِعة .

حسن : أتتوقعين الرحمة ؟ لقد تركتُ الرحمة مع
حلواي .
طوال تلك السنوات كنتُ إنسانًا بسيطًا ذا ميولٍ
رقيقة - عظيم في ثوب رجل وداهية ككيد
النساء . ولكننى الآن لن أكون المغفل بين
زملائي . الآن ستعرف كل بغداد وتقول :
« ظنناك إنسانًا رقيقًا يا حسن ، يشري أطفالنا
حلواه ، ويضرب يده على لحيته بينما يُقرِض

المتسول الذى تعرف عليه منذ ثلاثة أيام خلتْ
دنانير بإلحاحٍ . انظْر وقد أصبحَ قويًا ، فقد مزق
جسد ياسمين سيئة السمعة التى جعلته يخطئ ،
كما يقطع الحطاب الشجر . ستنثنى ركبنا عندما
يمر بنا حسن ! »
ياسمين ، قوى أعصابكِ وأغمضى عينينكِ .

ياسمين : لا ، ليس بالسف !

حسن : دعينى أذوق نشوة القوة .
دعينى أشرب نخب تمام النعيم .
دعينى أكون واحدًا من هؤلاء الذين يحاربون
لأنهم لا يبالون .
(إستل سيفه ! تصرخ ياسمين بصوت عالٍ)
أنتِ يا ياسمين المسكينة الجميلة ، المغرورة !
وأنا حسن الغنى الولهان القوى . أنتِ
جرحتنى ، وأنا سأجرحك ، إنها قواعد
اللعبة ، والطريق إلى الدنيا .
أ أنا كرهتكِ ؟ لستُ أعرف ، أ أنشغل بذلك .
أأحببتك ؟
حينئذ يقودُ الحبُ النصلَ إلى أن يصل العمق .

أنتِ أعجب مومس فى الدنيا . سأشطرك إلى نصفين .

(يهز السيف فوق رأسه ليضرب)

ياسمين : (صرخة فى الحال من الرعب والنصر) : لن أغمض عينى سأنظر لكَ .

لن تجرؤ على أن تفعلها ، انظر فى عينى !

(حسن يلوح بسيفه)

(يرمى حسن بالسيف بعيدًا فى الحجرة ويسقط أرضًا بجوار الأريكة ، ووجهه بين يديه)

حسن : يا حسن يا حلوانى ما أنت بشئ . ما أنت إلا شيخ ساذج !

(تأتى ياسمين إلى حسن . يختفى الغلمان فى صمت . يجذبها إليه)

(برقة متناهية) : ياسمين !

* * *

المشهد الثالث

ردهة كبيرة فى القصر . الحجرة مستوية مكسوة بالرخام الأبيض . إسحق بمفرده ، يأتى الحاجب بملابسه .

(يدخل الجنود ومعهم قائد الجيش ورئيس الشرطة)

الجنود يغنون : نحن الذين جئنا اسرعُ من القدر . فنركب بين عشية أو ضحاها .

نحن الذين نَهُب على أبوابكم العاجية ! يا ملوك . غروب الشمس الشاحبون انتبهوا !

لا ننام على الحرير أو قز ، ولا نموت فى جلال . بين النسوة اللاتى يثرثرن ويصرخن و الأطفال الذين يتمتمون .

ولكننا ننام على أطناب الخيام . ونصحو على صيحة وندوس .

ونصحو مع الشمس والقمر وهما المصباح . وسفو الرياح فى شعرنا .

من الأرض التى بها الأفيال . من غابات أفريقيا إلى البلغار .

سيوفنا التى جلبناها ونجومنا . التى تلمع على أطلال روما .

مشينا من أواسط آسيا إلى إسبانيا . وبإذن الله سنصل إلى هناك ثانية .

وقفنا على حافة السهل . حيث تهدر مياة القدر .

فى يا لولا [١] أقمنا سوق الدمار . فخارت قوى الرجال .
فما الموت إلا تجارة صعبة . وما السيف إلا بياع للمنايا .
فالرمح وهو طبيب الصحارى ، لا يشفى إلا قليلاً من طموح النوايا .
ومع أنه دواء ناجع . فهو يؤدى إلى بعض الخراب .
الدرع كئيب للسذج ولا معٌ البحيرة الساكنة .
ومستقيم كصخور اسلامبول . عندما كان عليها مكان للفرسان .
أما الجبناء فانقلبوا أسودًا . لما وضعت الحرب أوزارها .
والموتى قذفناهم فى الصحراء . والمجد لله فى أغانينا .

الجنود : (يصيحون) : الله أكبر ، الله أكبر !

رئيس الشرطة : الأغنية التى غناها جنودك كانت رائعة ! يا محطم عظام الكفار . اسمح للشرطى المتواضع أن يسأل ما النصر الساحق الذى تحتفلون به اليوم . من جهلى الكريه لا أعرف أن جيش الخليفة (سبح دائمًا بإذن الله فى بحار من دماء الأعداء) غادر بغداد .

---

(١) يالولا Yalula نهر فى شرق آسيا (فى الصين) يشكل جزءاً من الحدود بين منشوريا وكوريا الشمالية يصب فى البحر .

قائد الجيش : حقًا إننا لم نغادر بغداد ولكننا بالمصادفة
أنقذناها من الدمار . عندما سمحت شرطة
الخلافة بالمؤامرة أن تنضج سرًا ، ومهمتنا أن
نذبح المتآمرين . حقا إننا هزمنا المعدمين
فحسب ولكنهم كانوا معدمين محاربين ،
ذبحنا ، نصفهم وأسرنا النصف الآخر ، ومنذ
أدركت الشرطة ، أنه لا دليل إلا المعاينة ،
فجاءوا إلى هنا والنصر أعظم وأثمن من أغنية .

رئيس الشرطة : الله أغنية رائعة ظننت أنهم أخيرًا : « أخيرًا
احتلوا القاهرة » .

قائد الجيش : أن تنقذ بغداد أفضل من أن تحتل القاهرة .

رئيس الشرطة : (يشير إلى الأسرى المعدمين) :
امسكوا الأسرى من دروعهم المسلسلة .

قائد الجيش : إنها أغنية قديمة ، معركة مجيدة عظيمة ، وفى
سياقها تقدم وتعرض الغياب المطلق للتربية .
وتنشيط الذاكرة .

إسحق : أهذا كلام من الديوان الأعلى ، يا قائد ؟
أ أنت أنقذت بغداد ؟
إنقاذ بغداد لم يعد جديرًا بالاحترام . أنتم
طفيليون بطونكم انتفخت فى القصر ، كيف

تجرؤون على غناء تلك الأغنية .

قائد الجيش : الله ، هؤلاء الشعراء يقولون شعرًا .

(يدخل الحاجب معلنًا قدوم أشخاص مختلفون ثم يدخلون ، بينما هو يعلن أسماءهم ، يساق كل إلى مكانه بواسطة إسحق)

الحاجب : أبو سعيد أمير البصرة جاء ليعلن البيعة .

فخر الدين أمير دمشق جاء ليعلن البيعة والطاعة .

المستنصر أمير قونية جاء ليعلن البيعة .

طاهر اليمانى حاكم خراسانى جاء ليعلن البيعة والطاعة .

الغافقى الخطاط العظيم ، فقيه ديار بكر وسيدها . وطاووس الأساليب ورسم المنمنمات .

إسحق : (جانبًا) : قصص من الفحش المسبوك .

الحاجب : المصارع التركمانى الشهير «يرغ يرخان» الذى محيط فخذه ثلاثة أذرع .

إسحق : (جانبًا) : بدين مثل المرأة ولكنه ليس لطيفاً مثلها .

الحاجب : أبو نواس نديم الخليفة .

راجا أمير منطقة الجانج العليا جاء ليعلن الطاعة ومعه هدية ٨٠٠ رزمة من صبغة النيلة

إسحق : (جانبًا) : ولا تصبغ حتى لحيته .

الحاجب : «هانج ونج» فيلسوف الصين الحكيم . جاء لدراسة تقاليد المؤمنين حقًا . سنه مائة و عشرة أعوام . . . . .

إسحق : (جانبًا) : وبالتأكيد أعمى

الحاجب : انستانيوس چوهانز چورچيوس سفير الإمبراطورة «إيرين» الكافرة ، سيدة القسطنطينية و أرض روما إلى ما شاء الله ، جاء فى مهمة بسيطة .

إسحق : إنه لا يفهم كلمة ، ويعتقد أننا نحيى اسمه . ولكنها مُزْحة بسيطة .

الحاجب : أبو الصل الدرويش السائح جاء ليعظ الملوك ويذكرهم بأنهم ليسوا بشئ غير التراب

إسحق : أين يرقد أنو شروان العادل ؟

الحاجب : مسرور ، يا سياف ، تعال هنا لتجعل هنا كثيرًا من المعدمين هبَاء منثورًا للملك .

إسحق : آه ، انكم ترتعشون بشدة ، أيها الأسرى المساكين إنه تيار هوائى بين الخرق .

الحاجب : حسن بن حسن البغدادى . صديق الخليفة ونديمه
عاش حسن ، وظِلُ حسن وصديق حسن بن البغدادى .

إسحق : (يسحب حسن للخارج) : تعالى هنا يا نديم الخليفة ، لا تنسَ أنك الرجل المكسور العود .

حسن : أى نديم ؟

إسحق : الستَ فى نعمة ؟
ألم يعلمك الخليفة ؟ أنت الصديق الملكى .

حسن : إنه كريم إنه حميم ، إنه استند على ذراعى وعانقنى ودعانى « صديقًا » ولكننى ارتعش أمام عينيه .

إسحق : أنت اكتشفت . أنه ليس هناك إنسان يمكن أن يكون صديقه للأبد .

حسن : يا حسرتاه ، ذلك لأنه وُضِعَ فى منزله فوق البشر

إسحق : يا حسرتاه ، لا : لا فقط لأنه يستخدم هذه السلطة ليلعب دور الفنان مع أرواح البشر

حسن : ماذا تقصد يا إسحق ؟

إسحق : هل رأيت مصمم السجاد ، يا حسن يا بغدادى ، يضع هنا الأزرق وهنا الذهبى وهنا البرتقالى

والأخضر ؟ ولذلك رأيت الخليفة يعيش حياة رجل بسيط بائس - الذى كان راضيا فى منزله البسيط ، يستمتع بزرقة الأيام السعيدة - ويلون حياته ببنفسج القوة ، ويخلطها بقرمزية المتعة ويسحقها كلها فى أشعة الذل القاتلة ،ويلمسها بأشعة الألم الحمراء اللامعة ، عند حافة الفناء ، ذات الحد الأسود التى يَرِدُها الجميع .

حسن : لقد كان كريمًا جدًا . لا تقل أنه كان طاغية لا تقل أنه يستمتع بآلام الناس

إسحق : المعاناة لون جميل ، يستمتع هناك بوصفه رسامًا يرسم باللون القرمزى الجديد الذى جلبه من كردستان ولكن هذا الفنان العظيم ألا يحب التناقض ؟

ليربط حزام الفضة الذى يطوق أُسُوَد المعدمين القذرة .

بينما يضع الغلام فى الوحل قدمى وزيره الراحل . وبالنسبة له فالدعابة تكاد تكون مناسبة ، فرأيت أن تتم فى هذه الحجرة .

حسن : ولكنك صديقه .

إسحق : كما أنت كذلك .

ذكاء الحاكم ، أن يتصرف بكياسة ولطف ،
وينعش العاهل أن يتحدث لإنسان آخر بوصفه
إنسانًا . وكم هو فنان حين يستمتع بمباهج
التناقض ويهرب من رسميات البلاط
ولكن هنا يأتى سَبقْ الخليفة وجلال ديوانه
القريب من الكمال ، رجل نبيل ولكنه غير
عاطفى ، حصيف ولكنه بلا الهام ، وضعيف
كأنه قهوة البخيل .

الحاجب : شجرة التيوليب فى رياض البلاط ، وظِلُ شجرة
السرو ، وقمر الشمس ، جعفر البرمكى .

الجنود : عاش الوزير العظيم !

الحاجب : فلتصمت كل الأفواه إلا أنا . (يرفع عصاه)
المقدس العادل ذو الحس والنسب حامى حمى
الإسلام ، أسد الغابات الإمبراطورية ، فارس
الجواد الأشهب . يا شجرة السرو على التل
الذهبى ، وسيد الأسنة ، ومقوم الاعوجاج ،
وشارب دماء الكفار ، وطاووس العالم ، وظل
الله على الأرض أمير المؤمنين ، هارون الرشيد
بن محمد بن عبد الله بن على بن عبد الله بن
العباس ، الخليفة !

السرو ، الطاووس ، الأسد ، الخليفة !
من روما إلى بخارى ، العاهل الأوحد ،
الخليفة !

الدرويش : (مكتئبًا) : أنت طين ، ودمية ، ظِلٌ ،
يا خليفة !

الخليفة : الديوان مفتوح . فلتصمتْ كل الأفواه إلا أنا .
عَدْلُنا اليوم سيكون سريعًا مثل ومضة السيف .
قرأت فى كتاب « خكمة الحكام » : « كن
مستعدًا لتجتث شجرة المؤامرة لأنها تنشر
جذورها فى كل مكان » .
أ أنتم المتسولون ؟

المعدمون : نحن معدمو بغداد .

الخليفة : أنت المتحدث ، تعالَ هنا !
أين تآمرتم على ضد عرشى وضد أمن
الإسلام ؟
ألم تخف على حياتك ؟ ألم تفكر فى نجاحك ؟

معدم : مولاى وسيد الدنيا ؟
هل افتقرت يومًا ؟ هل جعت يا مولاى ؟
أعرف ماذا تُدْخل الأحلام فى الرءوس الكئيبة
للناس الجوعى وهم ينامون خلف حائط

الحديقة ويئنون : « الخبز فى اسم الله ، الخبز فى اسم الله ؟ »

الخليفة : أتنكر المؤامرة ؟

المعدم : نعم تآمرت .

الخليفة : أمنكم من ينكر المؤامرة ؟

(صمت)

مسرور : قاد المتآمرين إلى الموت .

(ينفذ مسرور الأمر)

الخليفة : دَعْ هؤلاء الذين واجبهم أن يحضروا هذا المسمى ملك المعدمين من زنزانته ، ودَعْ هذا الرجل الذى قدم لنا أعظم خدمة بأسرنا أحياءً والذى هو أخطر رجل.

دَعْه يتقدم خطوات إلى المنتصف .

رئيس الشرطة : (يخطو للأمام) : يا سيد الدنيا - ما أنا إلا حثالة .

قائد الجيش : (يتقدم متزامنًا) : يا سيد الدنيا - ما أنا إلا حثالة .

الخليفة : أ أنتم مهتمان بأسره ؟ تضاعف فضلى عليكما . أحضرا رِدائَىْ الشرف أمام عرشى .

رئيس الشرطة : سيدى ، فشلت أن أفهم سبب وجود هذا

الرجل العسكرى .
لقد كان مفتشًا عندمًا جرجرت ملك المعدمين
من مزراب سطحه .

قائد الجيش : أيها الرجل ، قبضتُ عليه شجاعًا يجر رجليه ، على الرغم من مقاومته العتيدة المستمرة بينما أنت تمسك فى جبن بكمه .

رئيس الشرطة : يمسك بكمه ، أنت قاتل استحضْر عشرين
قطرة من الدم لتسيل حول هذا الجسد الذابل
النحيل ثم دعها تصعد لخدك الكذوب !

قائد الجيش : ما أنت إلا فيل منتفخ !

الخليفة : كفى !
أحب أن أسمع حديث الأبطال ، ولكن كفى ،
فمن الواضح أن المجد قد تبعثر .
أعطنى أحد هذين الرداءين ، واستدعِ ترزى البلاط .

ترزى البلاط : (منحنٍ جدًا) : مولاى وسيد العالم !

الخليفة : إقسم هذا الثوب إلى ثوبين .

ترزى البلاط : (يهمهم كما يفعل ذلك) : ! الله عظيم ، الله عظيم .
هذا الرداء الجيد التفصيل . حرير رائع !

الخليفة : أحضر كليهما .

قائد الجيش : (خجلاً) : المجد للشرطة .

رئيس الشرطة : الفضل كاملاً لصديقى المشرف .

الخليفة : (بإصرار) : أحضرهما معًا .

(تجمعوا حول نصف رداء الشرف وهم يتضاحكون) .

الجنود : عاش الذين أنعم الخليفة بتشريفهم !

قائد الجيش : (من تحت أسنانه) : خنازيرمتمردون .

الخليفة : والآن أحضروا المعدمين .

(يحضرون ملك المعدمين مقرنًا فى الأصفاد فى يديه ورجليه ، ولكنه لم يزل فى ملابسه المذهبة)

الخليفة : السلام على من كان مضيفى ليلة أمس .

رافع : (ملك المعدمين) : السلام على رجل البصرة . إننى أرى زميلك فى ملابس الوزير الأعظم . ولكن الأسود النتن يبدو غائبًا . (إلى حسن) تهانينا لحسن على ترقيته .

الخليفة : إنك تتكلم بجرأة ملك ، ولكن ليس لك رعية . ستكون حالاً غرابًا أسود فى غابة صنوبر محاطة بأسوار .

رافع : وإنْ كنت فقط منذ الليلة الماضية ، حين ناداك الناس خليفة المؤمنين - وأنت ذابح الرجال الطيبين - حينما عرفتك ! عرفتك حقًا !

رئيس الشرطة : أ أقطع لسانه ؟

الخليفة : دعه يتكلم فقد وجدت الإنسان الذى لاينافقنى . دعنى أتبين المقت والكره اللذين فى عينيه ؟

رافع : لا يكفيك أن تسئ حكم ربع العالم .
فأنت لست طاغية مجنون فحسب ، ولكن أيضًا تاجر ، أنت جاسوس جبان .

جعفر : ليس من الذوق أن تسمح لهذا الرجل بالاستمرار فى هذه الشتائم الوقحة ، يا مولاى ألا توقفه ؟

رافع : إننى رجل بين السيف والنطع .

الخليفة : هناك آلاف الطرق المحترمة إلى خان الموت بعضها مستقيم ويعضها ملتو .

رافع : قطعْ ، عاقبْ ، احرقْ ، عذبْ إلى أقصى ما تستطيع . فذلك هدف أنبل وفشل أحقر .
ألا أستحق أن أشعر بكل آلام هؤلاء الذين قادهم غبائى إلى الموت الفظيع ؟

الفيلسوف الصينى : إن سِنى قد جاوزتْ المائة وعشرة أعوام ،
ولم أسمع ملاحظة فى أسس الذوق .

الخليفة : حسنًا ولكن قبل أن أرسلكَ إلى الموت الشديد
القسوة فإن ضميرك سيكون مليئًا بالرضَا عن هذا
العالم والعالم الآخر ، أجبنى !
أنسيتَ تلك السيدة التى لا نظير لها التى أنقذها
حماس غلمانى من بين أحضانك ؟

رافع : إنك شيطان رجيم ! أنسيت ؟ ألم أترجكَ ألا
تنسى ؟

الخليفة : اينسى الشاب الأنيق اسم امرأة جميلة ؟
سننظر فى تلك التى حاولت من أجلها أن تزيل
حصن الإسلام الرئيسى .
(إلى حضور) أحضروا هذه المرأة ، نرفانا .

رافع : (فى تضرع) : يا سيد الدنيا ! يا سيد الدنيا !

الخليفة : غيرتَ نغمة حديثك فجأةً ، ولكن متأخرًا .

رافع : كنتُ وقحًا فقط لأن اسمها يجب أن يُنسى فى
غضبكِ وفى موتى ، يا عز الإسلام!

الخليفة : تبرير بارع عن امرأة ، أبدأتَ الآن تكون مؤدبًا
مع الطاغية الذى نويتَ أن تُسَمر تابوته فوقه وهو
مفتوح العينين ؟

الذى يأمل من الحاضرين أن ينسوا موضوع حديثه فلابد أن يُعَدل من طريقة حديثه .

رافع : أعمانى الله ان لم أرها ؟

الخليفة : لماذا ؟ ألم تزل تحبها ؟
أليس منظر محبوبة ضحية الفراق مثل رؤية النافورة لمن يموت عطشًا ؟

حسن : (جانبًا) : ولو كانت تلك النافورة هى التى تقطر دمًا ؟

رافع : أنت ! أنت الذى ضممتها بين ذراعيك ؟
آه ! يا الله ، الرحمة لروحى !

الخليفة : ولكن مع ذلك ، بعد أن عرفتَ ذلك فإنك لم تزل تحبها وعلى استعداد لتدمير بغداد من أجل بريق عينيها .

رافع : ولكن أولاً فإن دم مالكها لابد أن بغسل شرفها الرفيع .

الخليفة : إنك لرجل شديد السخف ، بنيتَ برجًا رهيبًا من الجريمة على أساس من دخان .
أتتخيل أننى تذوقت كل فواكه بستانى ؟

رافع : لقد أعطاك الله أجسام الناس ، ولكن هو وحده الذى يعذب الأرواح .

وحق إيمانك أيها الخليفة قل الحقيقة ، قل الحقيقة !

الخليفة : أ أنا أعرف عبيدى الذى هم مصطفون يكنسون الشوارع ؟
على حد علمى فإننى لم أرفع عينى فى هذه المرأة الخاصة بك .

الحاجب : الفتاة نرفانا .

نرفانا : (باحترام تام) : يا سيد العالم !

الخليفة : مكتوب فى القانون المقدس فى حضرة الملك للمرأة أن ترفع الحجاب عنها دون خوف أو رقيب .

نرفانا : آه ! يا مولاى أيجرؤ النسر على ازدراء الشمس ؟

الخليفة : حديثك أشد كبرياء من كل النسوة ، نرفانا ، ولكن لاشك أن عينيكِ اللتين أتمنى رؤيتهما ثابتتان فى وهج اللهب .
ألى أن أطلب أن تسفرى عن وجهكِ ؟

نرفانا : وا حسرتاه ، يا سيد العالم ، فإن عينى أظلمتا منذ سُجنتُ طويلاً فى قفص من الجواهر ، وسَكَنَ جناحَىَ روحى فلم يخفقا على تلال

بلادى حيث تجئ شمس السماء الدوارة بإشراقة الوطن ، فقط تلالهم العاصفة تجعل نساء بلادى يخرجن سافرات .

إسحق : (لنفسه ، شبيه بالغناء) : التلال ، التلال الصباح فوق التلال !

الخليفة : (إلى نرفانا) : أطلب منك أن تكشفى عن وجهكِ

نرفانا : لو حاولتَ أن تمزق حجابى من على وجهى ، فإننى سأمزق وجهى أمام عينيكَ .

رافع : لا ، لا ! . . .

نرفانا : من أنت الذى تصرخ ، « لا ، لا ؟ » من أنت يا من خبأتَ وجهكَ بين يديكَ المغلولتين

رافع : سجين . سجين .

نرفانا : صوتك فيه رعشة خوف . . .

رافع : سجين ينتظر الموت .

نرفانا : أضطربُ عندما ألمسكَ ؟

رافع : رجل خائف .

نرفانا : (بصوت فيه شئ من القوة) : لأجلكَ يا سلطانى رفعتُ حجابى ، وأنتظركَ لأشاركك فى مصيرك .

حسن : يا إسحق ! نار قلب الجميل !

رافع : اتركيني يا نرفانا ! لا تمشى لا تسيرى على دربى ! فأنتِ لا تعرفين قدرى المشؤوم .

نرفانا : قدر مشؤوم ؟ قدر مشؤوم ؟ يا رافع ، إننى أستطيع الآن أن أنسى عشرة قرون من الكآبة لأننى رأيت عينيك ثانية !

رافع : لقد تآمرتَ على عرشه لأفوز بحريتك .
فشلتُ فى خطتى ، وفى أخطائى يرقص ألم أتباعى فى مهب الريح .

نرفانا : تآمرتَ من أجلى أنا ؟ من أجلى أنا . . . من أجلى أنا ؟

رافع : وعلى استعداد الآن لأغرق بغداد فى بحار من الدم لأقبل شفتيك ثانية .

نرفانا : يا حبيبى !

رافع : (يظهر يديه المغلولتين) : حبيبك حقًا !

نرفانا : ألف عين حولنا يا حبيبى ، ولكن أتشغلنى هذه العيون . وصوت الدنيا يصرخ : « أنت جارية فى القصر وحبيبكِ مصفد فى الأغلال » (تعانقه) . ولكننا سمعنا « أبواق الحقيقة » التى تَغْرق فى العتمة الأبدية لذلك « الشئ الذى يبدو » .

مشينا مع «صديق الأصدقاء فى بستان
النجوم» ، الذى كان عطوفًا على المحبين
المساكين الذين مزقتهم سهام عالم الروح .
فشفتاك هما الوحيدتان ، وعيناكَ هما
الوحيدتان ، وتلكِ العيون الأخرى ما هى إلا
أضواء أشباحٍ تلمع فى ضباب الأحلام .

أحد رجال الحاشية : هذه هرطقة صرفة .

إسحق : تبًا لمعتقداتكم .

جعفر : هذه عقيدة صوفية شديدة الخطر على الدولة .

حسن : إذن فاللعنة على الدولة !

الخليفة : إذًا يا من تتعاشقان في الديوان الرسمي ، هل
استطعتما أن تستمعا إلى صوت العالم ؟

نرفانا : (منبهرة) : إنهم يتحدثون .

الخليفة : يا رافع ، يا ملك المعدمين ، إنك فوق ذلك
ارتبطتَ كثيرًا بشِبَاك الوهم ، وإنه لمن
الضرورى أنْ أسألك بعض الأسئلة المثالية
المتصلة بأفعالك الظاهرة .
أولاً أتنكر أنك أسميتَ خليفتك ، خليفة
الكَفَرة ، وكفرتَ بإيمانَك فى وجودى وفى
وجود جعفر ، وزيرى ، ومسرور السياف

وحسن صديقى ؟

رافع : ليس عندى ما أنكره ؟

الخليفة : وثانيًا ، أتنكر أنك دَبرتَ هذه الجريمة البشعة لأجل امرأة ؟

رافع : ليس عندى ما أنكره ؟

الخليفة : رافع ، أنت اعترفتَ بهذه الهرطقة ، وبأنك خائن . . . وأنك مجذوب بقى أن نقدر عقوبتك .

رافع : كما تريد .

الخليفة : إنك لشجاع ولكن أخشى من سهام الوهم أن تصيبك بقوة فأنت لا تستحق موتةً واحدة وإنما آلاف الميتات . ولو وضعتك على الخاذوق بسبب المؤامرة . كيف لى أن احرقك بسبب كفرك ، ولكن مثل هذه الآلام الأخرى هى كالتى يستطيع الإنسان أن يعانيها ، فإن الإجراء القضائى يناقش اليوم تلك الوحشية الطائشة . ولئن سلختك لوقاحتكَ ، كيف أستطيعُ أن أجلدكَ لحماقتكَ ؟ ولو عكستُ الأوامر فإنك تستطيع أن تستمتع بالاستفادة من كلا الكفارتين .

رافع : أنت بكل تأكيد درستَ فن الألم .

الخليفة : ما أشد العذاب الذى تستطيع أن تتحمله بالنسبة إلى رعب الموت الذى كان يمكن أن تلحقه بى ؟

رافع : (مع نفاد الصبر) : ما هو جزائى ؟

الخليفة : لاختلال عقلك لابد أن تصلب ، وجزاء المؤامرة لابد أن تُمد بين جْزعَين ، وبسبب تجديفك وكفرك فلابد أن تُشق إلى نصفين .

نرفانا : آه !

(همهمات من الرعب والرضا تملأ البلاط عند اعلان هذه العقوبة القاسية)

رافع : يفعل الله ما يريد .

نرفانا : (تسقط على قدمى الخليفة) : الصفح ، الصفح يا مولاى .

الخليفة : أتظنين أننى سأغفر له من أجل « الصفح عنكِ » ؟

نرفانا : الرحمة ، الرحمة يا مولاى !

الخليفة : لماذا تصيحين « الرحمة » وتمسكين « بقدمى » ؟ أليس مؤلمًا أن هذا الحب وهذا العالم كلاهما غائم ؟

نرفانا : (تنهض) : هذه الدنيا جحيم ، ولكن هؤلاء الذين حفروا هذا الجحيم سيجدون جحيماً أشد عذابًا ونيرانًا تبحث عنهم .

الخليفة : لديكِ ميتافيزيقيا ، ولكن أعندكِ نزعة منطقية ؟ اعطنى سببًا ولو بسيطًا ودقيقًا ، لماذا يجب على أن أظهر الرحمة لهذا الرجل ؟

نرفانا : آه ، أتنظر فى الأسباب ؟

الخليفة : أو ليس عقابى عادلاً ؟

نرفانا : أسيكون لديكَ عدل ؟

الخليفة : لو وقفتُ بين يديه مُصفدًا أكانِ يستمع لتوسلاتى ؟

نرفانا : أتنتقم ؟

الخليفة : أ أحتقر العقل وأمنع العدالة ، وأَدَعُ الانتقام جانبًا من أجلِ سواد عينيكِ ؟

نرفانا : ابدأ عدلكَ وانتقامكَ باسم الله .
فهم يقولون أن المرأة أشد صلابة واحتمالاً للمعاناة من الرجل .

الخليفة : يا امرأة ، أتقصدين هذا بكل ما تعنى الكلمة ، أم أنكِ تقولين هذا لتستدرى رحمتى ؟
كونى حَذِرةً فى إجابتك !

فالمخلعة [١] والسوط جاهزان وقريبان منى .

نرفانا : (تفرد ذراعيها) : لأجيبك ، فُكَّ هذه الأغلال أمام عينى وثبتنى بالمسامير فى الحائط .

رافع : نرفانا !

الخليفة : نشوى ! نشوى !

أنتِ فى حالة وجد ولذا فإنكِ لن تعانى .

اعرف جلود الشهداء السميكة . إننى أرفض .

نرفانا : (لرافع) : يا حسرتاه ، ماذا أفعل !

رافع : دعينى أموت ! فقد ملأتُ عينى برؤيتكِ ثانية . فلم يبق لنا إلا الموت .

نرفانا : لم يبق لنا إلا الموت ؟ إن السماء الواسعة تفتح أبوابها لمن يموت . ولكنهم سيمزقونكَ اربًا ، رافع ، رافع !

رافع : أ أخشى الألم الذى سببته لكِ ، أم أتراجع وأرتجف حين كنتِ أنتِ شجاعة ؟

نرفانا : (للخليفة) : لى طلب بسيط جدًا . هَبْ حبيبى موتةً نظيفة !

---

(١) المخلعة : أداة تعذيب قديمة يمط عليها الجسم .

الخليفة : فى الحقيقة أنتِ طلبت أمرًا إداً . وكما قلت ،
ما الموت !
هل الرجل الذى هز مملكتى ينزلق إلى نهايته
الأبدية مثل اللص الذى يقبض عليه الناس فى
البازار ؟
أليس الذى اقترف الذنب العظيم عليه أن يعانى
الألم العظيم ؟

نرفانا : إنه ليس خائفًا من الموت .

الخليفة : إنكِ تقصدين أنه لن يشعر بالألم .

نرفانا : العدل والعقل ولكن هنا ما هو أشد قداسة من
العقل والعدالة .

الدرويش : (اضطرب اضطراب الدراويش العادى) : شئ
أشد قداسة من العدالة ؟

نرفانا : نعم ، يا درويش . هناك من يحب ألا يُشوه .

الخليفة : ولكن الآن إلى أين تذهب دعواكِ ؟

نرفانا : ياحاكم المسلمين أتستطيع عيناك اللتان تعشقان
الورد رؤية جسم إنسان مقطع إلى مُزع بغيضة
وبشعة بشاعة الأشباح التى تدور ناعبة حول
القبور؟
أو تستطيع أذناك اللتان تحبان موسيقى إسحق أن

تسمع أصوات المعذبين الذين يأتى أنينهم من
خلال أجسادهم مثل رياح الشتاء بين أشجار
السرو ؟

الخليفة : لن أكرم « رافع » فى حضورى ! سأكون بعيدًا
عن المشهد والمسمع .

نرفانا : فَكْر فى ذلك - فكر فى ذلك !

الخليفة : طوال حياتى آمُر السيافين .
فكرة واحدة فقط هى التى تلازمنى .
فكرة التابوت المغلق على عينى المفتوحتين ،
التمايل بالتابوت المحمول إلى القبر ، وصدمة
قاع الحفرة ، وقعقعة الأرض على غطاء
التابوت ، وانقطاع النفس والضوء .

نرفانا : إنه اضطر بسبب الحب ، تكلم فى غضب ،
أما أنتَ فتحكم عليه ببالٍ هادئ . فهو رجل
كأى رجل أخر . ولكنك تقيم شرع الله فى
الأرض . وأنتَ قدوة المسلمين الكبيرة .
أنى لكَ أن تحكم على أحسن صورة من خلق
الله بأن تشوه .

الخليفة : هل تريدين أن أصفح عنه لأجل كمال جسم
الإنسان .

يا نرفانا ، سوف أكون أسعد إنسان عندما أصفحُ
عنه من أجل كمال جسم امرأة .

نرفانا : (تنقبض من التهديد وما يحمله من تلميح) :
لهؤلاء الذين لهم عقول يا مولاى ، يفرقون بها
بين الكمال وبين الرغبة والحب .

الخليفة : أنتِ امرأة كاملة ولكنك امرأة .

نرفانا : وحق الله .

الخليفة : كيف تَفْصِلينَ الكمال عن الرغبة والحب ، أم أن
الرغبة لا تنفصل عن كمالكِ

نرفانا : أنا أَمَةٌ فى أهل بيتكِ تُجىءُ أو تُذبح ! أما كمالى
فليس ملكُ رغبتك .

الخليفة : (بلطف) : ولكن إذًا رجعتِ إلى أهل بيتى . . .

نرفانا : (فى غضب) : لأموت .

الخليفة : لن ينساكِ أحد أو يتجاهلكِ أحد
ولكن وجودكِ سيكون سلوى وفتنة . . .

نرفانا : لستَ أنتَ ، أيها الطاغية المائع ، لستَ أنتَ !

الخليفة : (برقة) : ولو من أجل الإنسان الذى ترك
حبيبكِ يذهب فى سلام ؟

نرفانا : أليس ذلك عارًا فى عالم الإسلام ؟
أتبدى رغبتك فى الديوان الرسمى ؟

الخليفة : الآن أنتِ ضربتِ مثلاً . تعاليَ ،
هل لى أن أطلق سراح حبيبك ؟

نرفانا : سأخنق نفسى ، إن لامستنى . سأخنق نفسى .
آه ، الخزى عليَ ، الخزى ! أنت تبتسم .
لستُ أنا التى تريدنى ولكن حياتى !
أسمح الله لك أن تجلس وتبتسم .
ولكن تستطيع أن تطلق سراحه ؟
إننى أَمَتُكَ ، اننى أَمَتُكَ . يمكن أن تضرنى أو تعذبنى بالحبل والسكين - الأحقر من الموت .
إن أطلقتَ سراحه ! سأكون عبدةً لكَ ، أى اختيار أملكه ؟

الخليفة : ليس لكِ سلوك العبيد ولا قلبهم .
لقد أحضروكِ إلى أهل بيتى بالقوة ولكنكِ وُلدتِ حرةً ، وأنتِ لستِ أَمَةً لى وفى وسط ديوانى سأعلن أنكِ حرة .
أنتِ حرة أنْ تأتى أو تذهبى ، حُرَةً أنْ تشترى أو تبيعى ، أنتِ حرة أن تخرجى أو تبقى ، أنتِ حرة أن تتزوجى أو تموتى - حرة أن تفعلى ما بدا لكِ .

نرفانا : حرةً أنْ أختار ؟

أى اختيار ؟ بين الموت والعار ؟

الخليفة : لا ، بين الحب والحياة .

نرفانا : أوضح ، يا مولاى .

الخليفة : بين موتتين مع العذاب وحياتين مع الفراق .

بين يوم من الحب وسنوات من الحياة .

نرفانا : زدنى إيضاحًا يا مولاى .

الخليفة : لقد نظرت فى هذا الأمر . واتخذتُ قرارى ، سأتكلم بصراحة ووضوح . (ينهض) هذا هو حكمى النهائى .

لقد منحتُ الاختيار لنرفانا ورافع ، ملك المعدمين ، وأمهلتهما حتى غروب الشمس ليستفتيا قلبيهما ويتشاورا فى الأمر . وسيعيشان فى ظروف كالآتى :

ترجع نرفانا إلى حريمى لتكون زوجتى شرعًا ، وسُنعَامل كبرياءها وروعة جمالها بكل شرف واحترام .

على أن يترك ملك المعدمين بغداد ، ويفترق هذان الحبيبان إلى الأبد إلى أن يموتا .

أما إذا رفضا الفراق ، فسأعرض عليهما يومًا من

الحب من مغيب شمس اليوم حتى مغيب شمس الغد ، بلا أغلال ، ولا حارس يحفظهما من تدمير ذاتهما .

ولكن عندما ينتهى هذا اليوم فإنهما سيموتان معًا بعذاب نكر .

ولله الأمر من قبل ومن بعد .

انتهى الديوان . . .

ستار

الفصل الرابع

المشهد الأول

(فى سراديب القصر خارج زنزانة ملك المعدمين . يظهر المشهد) .

(يدخل حسن)

حسن : أى طريق هذا . أى طريق ؟
لقد تهتُ فى هذا الممر المظلم . لقد تردد صوتى فى المدخل . ما هذه الضوضاء ؟
أ هناك جيش قادم ، أم أن كل السجناء يمشون فى غضب ؟
لا . . . . إنه فقط شخص يمشى . . . هل أسأل من . . . ! وإن سألنى هذا الغريب عن غرضى هنا ماذا سأقول له ؟ أ أعرف ما الذى جاء بى إلى هذا المكان الموحش ؟

إسحق : (من الظلام) : من الذى يمشى هناك ؟ ماذا تفعل هنا ؟ ماذا تريد ؟

حسن : من ينادى ؟ أنا حسن ، أتفقد أمن السجون الملكية . فمن أنت ؟

إسحق : من أنا ؟ عشر كراسات كتبها أفلاطون وعشرون كتبها أرسطو عن هذا السؤال العويص ، يا حبيبى يا حسن !

حسن : إسحق ، اخرجْ من الظلام يا إسحق ! ماذا تفعل ؟

إسحق : أجمع عيش الغراب ، يا مفتش سراديب الرذيلة !

حسن : أ أنت جئت أيضًا ؟ لا أعرف لماذا أتيت . آمل . . . لا أعرف لماذا أتيتُ .
ولكنى أعتقد أن قلوبنا تدق معًا مثل قلوب الأصدقاء . أ أنت جئت هنا لأجلهما ؟

إسحق : جئت هنا لأسمع عزفًا أكثر مأساوية من أسرار نهاية الحسين ، لأستمع لحديث أكثر أهمية من حديث استشارة الملوك .

حسن : أنتَ لا تقصد . . .

إسحق : أقصد حديث الحب والحياة .

حسن : الشاعر لابد أن يتعلم مما تستطيع معاناة الإنسان أن تُعلمه له .

حسن : أليس من الأفضل لكَ ألا تكون شاعرًا ؟

إسحق : (بمرارة) : إن الله لم يسألنى هذا السؤال عندما خلقنى شاعرًا و مُشرحًا للأرواح .
إنها تجارتى . إننى لا أتبعَ إلا سيدى ، المبدع العظيم لبساط الإنسانية وحاكم العالم .
إنه قد أعد المشهد والساحة ألا أتستطيع ملاحظة الشخصيات ؟ ولذا فإننى اتعبتُ روحى لأكتب - والله يعلم بذلك - عشرة كلمات مثل اليواقيت ، تومض فى صف واحد . وأعتقد مثلك أنك بدأت تفهم الخليفة المؤمن .

حسن : لماذا أتحدث عنه ؟ كل الرجال بهائم ، أنت وهو وأنا . أعتقد أننى أرحم من الرجال الآخرين ولكننى وحدى الخائف . هذا هو اليوم الأول من سعادتى ، بدأته فقط بقتال امرأة ، وأنهيته بالتجسس على الأرواح القلقة .

إسحق : عزيزى حسن ، لا تنزعج كثيرًا ، على المشكلة الأخلاقية . ففراشة الفضول دائمًا ترفرف حول مصباح الظروف . سيأتى الحراس إلى هنا ، ويطردوننا .
(يدخل حارسان)

إسحق : (إلى الحارس) : أيها الحارس . إلى أين ؟

الحارس الأول: (يؤدى التحية) : إلى زنزانة ملك المعدمين أيها السادة ، لينطلق الحارس .

إسحق : ماذا ؟ أتريد أن تقف داخل الزنزانة .
أقول إنه من العار أن تتجسس على حبيبين .
أيفران من خلال الشباك الحديدى أم يتسللان من ثقب الباب .

الحارس الأول: أيها السادة إننى أعرف طرق كل المساجين .
لقد خاب أمل مسرور عندما أحضرنا جسميهما ليجلدا .
(إلى الحارس الثانى) أليس هو محمد ؟

الحارس الثانى: (فى عمق ، نغمات محترمة وحزينة) : آه يا سيدى . إنه محبط جدًا جدًا .

إسحق : نعم ، إنه خطؤكم أيها الزملاء الأعزاء ، لو تركتم خناجركم وحبالكم فى زنازين سجنائكم

الحارس الأول: آه ، إنكم لا تعرفون حيل المساجين ، أيها السادة سيضربون رؤوسهم فى الحائط أو يسفون الحسك .
(إلى الحارس الثانى) ألم يسفوا الحسك بعد يا محمد ؟

الحارس الثانى: (إلى إسحق) : آه يا سيدى سيأكلون دائمًا القش والتبن .

إسحق : كَبِلهُما بالأغلال ، كَبِلهما بالأغلال .

الحارس الأول: سنفعل يا سيدى ، ولكنهما سيشنقان نفسيهما فى أغلالهما .

إسحق : يشنقان نفسيهما فى أغلالهما ؟

الحارس الأول: ألن يشنقا نفسيهما فى أغلالهما يا محمد ؟

الحارس الثانى: (لإسحق) : عرفت يا مولاى أنهما سيشنقان نفسيهما فى أغلالهما .

إسحق : ولكن كما تعرف فإن لديهما اختياراً « للحياة » يا محمد أو فراقًا مع موتٍ وعذاب .
مؤكد أنهما الآن سيختاران الحياة ، ونادرًا ما يحتاجان حارسًا ليدفعهما إلى عتبة الخلود .

الحارس الأول: سأفكر بصورة واقعية ، يا سيدى . ولكنك لن تستطيع أن تتحدث مع السجناء إنهم شديدو المراس ، وخاصة النساء ، أليس كذلك يا محمد ؟

الحارس الثانى: (إسحق) : النسوة السجينات شديدات المراس فى الحقيقة يا سيدى .

إسحق : (بعاطفة مصطنعة) : حسنًا ، أحدنا سيطلب حتى غروب الشمس أن يقوما بالاختيار ، أليس كذلك ؟

الحارس الأول: لا يا سيدى ، لم يرَّ أحدنا مسرور السياف فى العمل .

إسحق : ولكنهما إنْ اختارا يوم الحب
ألن يكون حزيناً طبقًا لوعد الخليفة ؟
أتستمر تحرسهما وهما فى زنزانتهما ؟
يا أبناء الوقاحة ، أتخشون أن يأكلا القش ؟

الحارس الأول: (بنظرة شذرة) : الآن ، سنقف خارج الباب ونستمع إلى التعذيب .

إسحق : وهذا هو بالضبط ما ننوى أن نفعله الآن ، أرشدنا إلى الباب ؟

الحارس الأول: لا اعرف إن كنت أستطيع ذلك ، يا سيدى .

إسحق : (يعطيه مالاً) : انكم لزملاء شجعان وأنا مقتنع حقًا أننى بخستكم حقكم .

الحارس الأول: مهنتنا محتقرة ، سعادتك ؟

الحارس الثانى: (يأخذ المال) : ولكن هذا الأجر ضئيل جدًا جدًا .

الحارس الأول: هذا هو الطريق أيها السادة (يرشدهما إلى الباب) .

المشهد الثانى

(زنزانة – طاقة يدخل منها ضوء الشمس . باب ثقيل له فتحة تجسس ضيقة . رافع مكبلاً فى أغلاله مشدودًا على الحائط . أما نرفانا فهى حرة . يقف الحارسان بلا حركة أمام الباب)

رافع : لقد غيروا حراستنا للمرة الأخيرة ، ستغرب الشمس فى غضون ساعة .

نرفانا : إنها لساعة طويلة قبل أن يفكوا أغلال يديك ليكونان لى طوقاً من الحب .
آه ، أيتها الشمس الكسولة اننى لمنزعجة من صورتك على الحائط . ولكن لما تزل ساعة طويلة !

رافع : مازالت هناك ليلة ونهارها قبل موتنا .

نرفانا : لماذا أصبح صوتُكَ أسِفًا . كلماتكَ لا توائم قراركَ ولا تتفق مع مقدمات تصميمك العظيم .

رافع : ما الذى قررتهِ ؟ وما الذى عزمتِ عليه ؟ لقد اقتربتِ الساعة .
رأيتُ جناحى روحك يضربان الهواء .

لقد أحَكمتِ قيود الفضة حول عنقى ونسيت معجزات الحديد ! لقد ضوعتنى عطرًا بشعرك حتى أصبحت الزنزانة روضة !

لقد حولتنى تجاه عينين ، الليل فيهما سبعة محيطات عميقة ، تومض فيهما النجوم التليدة ، وكل جسدك سأل بلا كلام : « أتموتين من أجل الحب ؟ »

نرفانا : أنادم أنتَ ؟ ألم تتفوه بهذه الكلمات الذهبية .

رافع : فقط ضعى شفتيكِ على شفتىَ واسرقى كلماتى من صمتى !

نرفانا : أخطأتُ أنْ جعلتكَ مشبوب العاطفة . أرى ذلك فى قلبك الذى ندم . لن أجعلكَ مرتبطًا بلحظة جنون ولكن أتمناكَ وأريدكَ بتمام عقلكَ وروحكَ ؟

رافع : آه ، قفى بعيدًا عنى وغطى وجهك ، أنتِ يا من تنادين باسم العقل ! وانتِ كذلك شعلة استشهاد !

اتستطعين أن تسمعى نداء العقل من فوق ثلوجها ؟

آه ، أيتها المرأة لعنة الله عليكِ لأنكِ أعميتِ عينى بالحب !

نرفانا : آه ، يا رافع !

رافع : اصمتى - اصمتى ! صوتكِ هو صوت خرير فى بستان ساعة انبلاج النهار ، حين تغنى الطيور فى الشمس .
انسى أحلامك المحلقة وأشواقكِ ونيرانكِ ، وبرقكِ واشراقات روحك ،
أجيبى عن هذا السؤال المنطقى ! لماذا يجب أن يموت حبيبك مثل هذه الموتة ؟

نرفانا : إننى أستمع لكَ .

رافع : اننى شاب . هل أنسى الضحك إذا أنا واصلتُ العيش ؟ أ أقضى كل ساعاتى أتأسف لكِ ؟
ألا أرجع لبلدى وأواسى قلوب هؤلاء الذين كانوا السبب فى ميلادى . أليس لى دار بيضاء مصانة ، وكتب وأصدقاء قدامى ، وبستان ملئ بالورد والأشجار ؟
أنسى أن يغنى الجدول فى نهاية بستانى ، لأن نرفانا لن تأتى ثانية ؟ الحب يذبل ، الحب يذبل ولكنه لا يسقط .

قد يبهت الحب فيأخذ اللون الأصفر ، مثل
الورد ، ولكنه ما يلبث أن يتحول إلى اللون
الذهبى
مثل الأوراق التى على شجرة الحور التى فوق
الغدير
وعندما تصبح أشجار الحور كلها ذهبية اللون ،
سأجلس تحت ظلالها بجانب الغدير لأقرأ فى
كتابى .
وعندما أُصاب بالتعب منه ، أضطجع على
ظهرى وأشاهد السحب . وهناك سأرى فيها
وجهك وتغشانى ذكرى أليمة كما لو كنت حلمًا
والفضة تزين ذراعيكِ اللذين لم يكونا سوى
السُدم البيضاء تلتف حول ثلوج بيضاء ناصعة .

نرفانا : (بغضب متزايد) : أما زلت أسير تلك
الخيالات الجميلة ، ستنسى المرأة التى باعت
شرفها لطاغية . بينما أنا بعيدة عن بلدى
ودارى ، أموت عارًا وسجنًا ، أنت تحلم
وتحلم !

رافع : اللعنة على عارك هذا ! فأنتِ ستكونين زوج
الخليفة . أ رأيتِ فى كل بلاد الإسلام شرفًا

أعلى يمكن أن تحرزه امرأة ؟ أ هناك عار أسوء
من جَلْدَكِ من قِبل العبد ؟ العار ! البيع !
الخزى !
تفاهة امرأة ! أ أُعَذَبُ حتى الموت لأرضىَ
كبرياءك ؟ إنْ لم تكونى لى ، أ أهتم بك زوجة
مَنْ تكونين ؟ سأتذكركِ كما أنتِ الآن – فماء
الصخور لا يتلوث.

نرفانا : بارد وجبان وميت القلب ! تخاف الموت !

رافع : والله إنى لأخاف الموت ، وإن الرجل الذى
لا يهاب الموت لهو أبله أو مغفل ! أما زلنا
نتحدث فى الديوان الرسمي من أجل إعجاب
المتفرجين ؟
لابد أن نتوقف الآن !
إن كرهتنى لأننى خائف من الموت فاذهبى
واتركي هذا الجبان .
آه ، لا ، لا ، لا تتركينى ، يا نرفانا !
سامحينى مهما كنت . لقد وعدت . سأموتُ
معكِ . سأموت ! سأموت ! سأحتمل العذابات
الثلاثة المرعبة رعب الموت ، التى تسد فمى
خوفًا .

نرفانا : عار عليك ، حبيب ضعيف مرعوب !
ياله من ألم لنا ؟

رافع : أنتِ لم تَرَى !
أنتِ لم تَرىْ !
انظرى فى يديكِ ، سيمزقان - آه ، لا أستطيع الحديث عنهما .
سأرى دمكِ يتدفق مثل نبيذ من نافورة بيضاء ، يسقط قطرة قطرة حتى يخضب سجادة الإعدام بلون السوسن الأحمر .

نرفانا : آه ، لكن حبك البسيط لن يتدفق غزيرًا إذا ما هاجمتَ تلك النهاية الوردية لقصة حياتنا !

رافع : وا حسرتاه ، أنتِ ما زلتِ تحلمين !
ما زالتْ الكبرياء تعميكِ !
حديثكِ كله تورية . أنت لا ترين ولا تسمعين
أنتِ لم تَرىْ ولم تسمعى صراخ المعذبين العالى المتفرق ، ولم تَرىْ أجسادهم عندما يُرمون فى الخنادق . تعالى يا نرفانا .
أتعرفين ماذا سيفعلون بكِ ؟ تعالى ! لا أستطيع أن أقولها بصوت عال .
(تقترب نرفانا) آه ، لا اجرؤ على إخباركِ . . .

نرفانا : قل لى بصراحة و وضوح .

رافع : (يهمس فى أذن نرفانا) ! . . .

نرفانا : (تغطى وجهها بيديها) : آه ، يا الله - سيفعلون ذلك ! لا ، لا لن يفعلوا ذلك بى !

رافع : بلا رحمة .

نرفانا : (بغلظة) : سيفعلون ذلك ! آهِ ، وعارُ تلك الفعلة !

سيفعلون ذلك - آه ، آلامها !

أرى ! وأحس ! وأسمع !

أنقذنى يا رافع !

رافع : يا ويلتى ! لماذا أخبرتكِ بهذا ؟

نرفانا : انه فوق الاحتمال . إنه لشئ شنيع !

تكاد عروقى تنفجر من الأفكار . إننى بين عارين ، وليس هناك من مهرب . . .

ولكن على الأقل لن يفعلوا ذلك معك يا رافع .

اصمتْ . . . تكلم بصوت خفيض ! فالحارسان يجب ألا يسمعا .

(تحملق فى الحارسين وتهمس بصوت خفيض)

نرفانا : أتموت حالاً بين يَدىّ بلا ألم ؟

رافع : (بصوت مندفع) : بسرعة ! كيف تفعلينها ؟
إن الحراسة مشددة علينا - أمعكِ مدية ؟

نرفانا : يداى ستكونان قاتلتين حول عنقكَ يا حبيبى .
ألم أقل أنكَ ستموتَ بين يدىّ ؟

رافع : أسرعى ! بهدوء سأرمى رأسى للخلف .

حارس : (يدفع نرفانا للخلف بسيفه المسلول بينما هى تحيط يديها بعنق حبيبها) :
باسم الخليفة ارجعى إلى الخلف !

رافع : (لنرفانا) : اسحبى سيفه .

نرفانا : (تنقبض من سيف الحارس) : لا أستطيع !

رافع : بسرعة - بسرعة ! أسقطى على السيف وأنقذى شرفكِ .

نرفانا : صدرى - صدرى ! اننى خائفة . . .
(تنحنى على الأرض) : إننى خجلة بكل ما فى الكلمة . قد أضعت موتكَ وموتى .

رافع : أنتِ أحجمتِ .

نرفانا : من السيف على صدرى ، وربما انتهى إلىّ وإليك .

رافع : أنتِ خائفة !

نرفانا : سيأخذ طَرفُه طريقه إلى قلبى . يا ويلتى منى .

رافع : إن وخز الحديد شئ هين جدًا .

نرفانا : آه ، إنه شئ بسيط . أليس كذلك ؟ إنه مثل الثلج ! لاذع جدًا وفى الوقت نفسه بارد . إننى جبانة وغدة .

رافع : كلانا - جبان أنا وأنتِ - تغير ضوء الشمس على الحائط من الأبيض إلى الذهبى . إنه المساء . لقد جاء . لقد حان ميعادنا .
أنختار الحياة ؟ أم نختار السماء والبحر والجبال والأنهار والسهول ؟ أم نختار الورد والنحل وطيور السماء ؟ أم نختار الضحك والدموع أم نختار بين الحزن وبين الحب ؟ بين الكلام وبين الصمت وصياح الناس خلف التلال ؟

نرفانا : آه ، فراغ ، فراغ بلا قلب ! (بكاء) .

رافع : فراغ كالموت يا نرفانا ، فراغ كالموت ؟

نرفانا : احمر الحائط لقد جاءت الدقيقة الأخيرة ! لابد أن نختار .

رافع : اختارى لى سأتبعكِ . أتحدثتِ عن الحياة ؟
قلبى ينفطر حباً فيكِ . إنْ دعوتنى للرحيل فلن أعيش بدونكِ .
اختارى لى - واختارى جيدًا أشباح الألم !

دعيني آخذكِ فقط بين ذراعي ، ويوم واحد من الحب سيمتد حتى الخلود . من يدرى ربما تنشق الأرض الليلة ، وتبقى الشمس إلى الأبد على قبره . من يدرى - الغد - بداية حكم العالم ونهايته فى يد الله وعندما ينتهى كل شئ سيجدونكِ بين يديّ ؟

نرفانا : (ترفع قدميها ببطء وتضع يديها على كتف حبيبها) : دعنا نموت ليس من أجل ذنبى يا رافع . ما ذنبى وذنبك يا حبيبى ، وذنب عفة الفتاة لمن مَلَكَ البحار ؟ أعتقد أن معدنى هذا شديد الجمال ، ولكنه اختلط بأصول العامة . يا حبيبى سأمشى تحت الحوائط فى الشوارع وأبيع جسدي للغجر واليهود وقبل ذلك لابد أن تصرخ « إننى جوعان » أو « إننى أموت بردًا » .

رافع : تموتين من أجل حبى - لنهار وليلة من الحب !

نرفانا : سأموتُ من أجل حبكَ يا رافع ! انظر ، الروح تزداد وضاءةً حولكَ ، انتَ مع « الحبيب الخالد » ، ومع « صديق كل الدنيا » ، الذى روحه تشع فى عينيكَ وترفرف حول شفتيكَ ! جسمكَ كله نار !

رافع : واسينى ! واسينى ! فأنا لا أفهم أحلامكِ

نرفانا : (ذراعاها متصلبتان فى نشوة) : الجسم يأتى من النافذة - الأرواح ذهبية وحمراء . الموت معك ، الموت معى ، الموت ، الموت سيصلك يا حبيبى - حينئذ - فى الحديقة أو فى النافورة - أو أثناء المشى جنبًا إلى جنب

رافع : يا حياتى الحلوة ، يا حياتى الحلوة - أَيقضى عليكِ هذا الحلم المجنون ؟

نرفانا : أيتها الحياة الحلوة - نموت لأجل حلاوتكِ يا حياة ، يا « سيد بستان السلام » تعالَ ، حِبّ لأجل النار التى نصطليها فتشتعل فينا ، لأجل الهوى الذى يهب حولنا ، لأجل جبال بلادنا والرياح بين أشجار السرو فيها ، أتقبل العذاب وأواجه نهايتى . فكلانا فى خدمة العالم . يصرخ صوت العمق المدوى : « المعاناة التى ربما تتأوه منها أمواجى » . صحبة النجوم التى تغنى « كن شجاعًا فعسانا أن نلمع » .
وأرواح الأطفال الذين لم يولدوا بعد تهمس بيننا : « تحملا فربما ننتصر » .

رافع : نرفانا ! نرفانا !

نرفانا : أصغِ ! أصغِ من خلال الكواكب لبوق الخلود !
« أموت خشية الفضيحة يا حبيبى . أموتَ خشية الفضيحة ! »

رافع : موتى حينئذ يا نرفانا ، لهدفك النبيل . ليس عندى نشوة يمكن أن تساعدنى خلال ساعات الألم أموت فقط من الحب .

الحاجب : (يدخل) : الخليفة يطلب اختياركما .

رافع : الموت !

حسن : (ينفجر) : لا ، لا . يا الهى !

إسحق : لقد أحسنا الاختيار .

(يخرج الحاجب . ما تزال نرفانا فى حالة نشوة عندما يهبط الستار)

نهاية الفصل الرابع

الفصل الخامس

المشهد الأول

نحو غروب شمس اليوم التالى . بستان الخليفة (كما فى الفصل الثالث ، المشهد الأول) (يدخل الخليفة مع مرافقيه . بينما يدخل حسن من جناحه)

الخليفة : جئنا لبابك لنبحث عنك ، يا حسن ، ولكنكَ استبقتَ لطمة الشك بصدمة الظهور ؟
لماذا غادرت منزلك قبل أن يغنى الكروان ؟
ألا تستطيع أن تغنى لقمر الفجر ؟
ان كنتَ تستطيع فإننا جئنا لنسمع .

حسن : آه ، يا سيد الدنيا ، إن ساعة غناء الكروان لم تحن بعد . لقد بحثتُ عنكَ يا مولاى طوال اليوم ، لكنى لم أستطع العثور عليك . إنك لم تحضر للديوان - كنتَ تصطاد - أو كنتَ نائمًا - أو تتناول العشاء . والآن اقتربتْ الساعة يا سيد الدنيا ، ولكنها لم تحن بعد .

حسن : ساعة غناء الكروان ! هى الساعة التى عندها تتوازن الشمس والقمر مساءً فى منازل الكواكب ويتحرك العدل متدرجًا إلى أسفل مع الشمس .

الخليفة : مؤكد أن رأسك ملأى بالخرافات ومزاجك متقلب . فأنا لا أستطيع أن أفهم ظلال معانيك

حسن : (يرمى نفسه على أقدام الخليفة) : يا سيد الدنيا . الرحمة لنرفانا و رافع .

الخليفة : ماذا – الاثنان ؟ دعهما يرحمان نفسيهما . فهما قد اختارا الموت كما أُخْبرتُ بذلك .

هذه المرأة فضلتْ العذاب مع رافع على الزواج منى . قضيا نهارًا ممتعًا ، وُضعَ الطعام المطلوب بين أيديهما .

كانت المراقبة سرية . الآن سيقضيان ليلة أقل متعة .

حسن : لا تدع المرأة تتعذب ! الرحمة لهما

الخليفة : إنهض أيها المتضرع الوسيم . أتجرؤ أن تطلب الرحمة لهذين الحقيرين الخطرين اللذين كانت حياتهما تحت أيديهما واللذين شدا بنفسيهما حبل شرك النهاية ؟

حسن : لو سمعتهما أو شاهدتهما كما فعلتُ أنا وهما يحاولان الاتفاق على هذا الاختيار المرعب . فسوف تنسى الأسباب والعدل والانتقام وتستمع فقط إلى استغاثة كرب روحيهما .

الخليفة : أشك فى ذلك !

حسن : لقد أحسنا الاختيار ! فهما شابان صغيران يشتعلان حبًا . لم أنم ولم آكل يا سيدى ! ولم استمتع بدارى وبستانى . لقد رأيت الدم على الحوائط ، على السجاد ، على النافورة حتى السماء !

الخليفة : حسنًا يا حسن ، سأترك لك هذه الأوهام المقبولة . لقد وجد لى أبو نواس فتاة كردية تستطيع أن ترقص برجل واحدة حول عنقها ، وتحفظ عن ظهر قلب قصة الإسكندر . أدركت أنك لن تكون صديقًا مناسبًا للتريض هذه الليلة .

حسن : إنى أتحدث فقط عن العذاب أناشدك لأجل تلك المرأة .
كلمة واحدة ! فالشمس كادت أن تغيب .

الخليفة : (بغضب) : ولو أنكم ! أنت وإسحق ، وجعفر و ولاة كل الأقاليم ركعتم أمامى تناشدوننى فلن أصفح عنهما شروى نقير من يد مسرور السوداء .

حسن : (يتضجر عند قدمىَ الخليفة ويهجم عليه) :

طاغية بشع ، وصوت عذاب من جهنم !

الخليفة : (هادئًا بينما يقبض الحراس على حسن) : أدهشتنى منذ متى أصبح الحلوانيون متنمرين فى سلوكهم ؟

حسن : (مرعوبًا) : ماذا قلتُ ! ماذا فعلتُ !

الخليفة : هنالك قد تحدث ثانية الحلوانى القديم .

حسن : إننى لست خجلاً من أننى حلوانى ولكننى خجل من أن أكون جبانًا .

الخليفة : لا تبتئس يا حسن الطيب . فأنت لم تراعِ تحذيرى . لقد تركت « بستان الفن » إلى « قصر الفعل » شغلت بالك بطغيان الأمراء ، وهبت رياح المشكلات من خلال قميصك . ستفتقد دارك وتطرد من البستان ، فأنت لستَ أهلاً لأن تكون نديمًا للملوك .

أما البقية فإنك منذ قدمتَ لى هذا الصنيع الجليل فى تلك الليلة ، فاذهب فى سلام وسنأمر بأن تكون كل حلويات القصر من دكانكَ .

حسن : مولاى بكل تواضع شكرًا لك على هذه الرحمة .

الخليفة : لا شئ - لا شئ ! لقد جعلت لك نصيبًا من خيط الجنون الأرجوانى الذى نسج فى خيمة الإبل .

أعرف أن رأسك قد تأثر بحرارة صحراء الظهيرة . الحقيقة أننى مع اهتمامك الذى أبديته نحو مصير نرفانا و رافع ، ودليل نعمتى عليك أن اضمن لك مكانًا بين الذين سيشهدون إعدامهما

حسن : لا ، لا ، ذلك ما لا احتمل رؤيته !

الخليفة : وفضلًا على ذلك ودليلاً على تقديرى ، فلن أرسلك إلى مشهد الإعدام ، ولكن مشهد الإعدام هو الذى سيأتى إلى هنا ، ويعقد على شرفك . لقد حلمت أن حوائطك نضحت دمًا مرشحًا .

سأحقق النبوءة المشار إليها ، وأجعل الحلم حقيقة .

حسن : لن أذوق النوم ثانية .

الخليفة : (إلى أحد الحاضرين) : خذ خاتمى هذا ، واذهب إلى الباب الخلفى وأوقف تنفيذ « الموت المؤجل » ، مُرْ مسرورًا بأن يحضر

سجينيه إلى هذا الديوان ويذبحهما على السجادة
التى سيجدها مبسوطة بين الحائط . . .

حسن : مولاى ! مولاى ! أليس هذا كافيًا ؟
لابد أن أرجع إلى تجارتى وقذارة البازار !
لابد أن أرجع فقيرًا ثانية ساذجًا بين الفقراء .
وسيقول الناس « انظروا إلى حسن ، قد قضى
يوم عظمته ! انظروا إلى هذا الشخص الملطخ
بالزيت ! قد لبس الذهب ! دعونا نذهب ونهين
الرجل الذى كان يومًا نديمًا للخليفة ! دعونا
نستخلص الدورس الأخلاقية منه لعدم استقرار
الخصائص الإنسانية فيه »
ولكنى سأحتقر سخرياتهم وعاطفتهم المقيته ،
سألفّ جسمى بالعباءة وروحى بالتأملات ،
وسأذكر يوم كبريائى ! « بستان السلام الكبير »
و« نافورة السحر » هذه و « ديوان الغبطة » هذا .
سأذكر أنى تحدثت ذات مرة مع عظماء فن
الشعر ، وكان لدى ولدان جمالهما كجمال
اسميهما . احفظهما ، احفظهما لأجلى يا سيد
الدنيا ، هذه ضيعة نخل الذكريات فى صحراء
أحزانى وكآبتى لا تلوث هذا المكان السعيد

بالدم . ولا تدع الأشجار التى سمعتك بالأمس
فقط وأنت تدعوننى « صديقًا » ، تطأطئ الآن
رؤوسها تحت رياح الكآبة ! لا تدع العتبة التى
عبرتها تتخضب دمًا ! أنقذنى من سماع ذلك
الذى سيتتابنى إلى الأبد . . . إلى الأبد – أنين
تلك المرأة البيضاء !

الخليفة : (للحراس) : لا تطلقوا سراحه حتى النهاية .
لاحظوا أن عينيه مفتوحتان جيدًا أطعموه حتى
الشبع .
(يخرج الخليفة ، وحاشيته)
(يسمع صوت المؤذن « لا اله إلا الله . . .
الخ »)

حسن : لقد غربت الشمس أيها الحراس ، أيها
الحراس !
(لا إجابة) إنه وقت الصلاة ، ألا تصلون ، لم
يزل لدى كنز صغير .
(لا إجابة من الحراس) أ أنتم صم ؟ (يومئ
الحراس) ولكن لماذا أنتم خرس ؟
(يشير الحراس إلى ألسنتهم) آه ، لقد قطعت
ألسنتكم !

(يشير الحراس إلى شباك الجناح) إلى ماذا تشيرون ؟ . . . آه ، ياسمين !

ياسمين : لقد رأيتُ وسمعتُ من الطاقة . لقد تركتَ الظلال والنعمة يا حسن .

حسن : (غاضبًا) : آه ، حسن ، حسن جدًا !

أنتِ فى الشباك وأنا فى الشارع . إنه انعكاس للوضع . كالأوز يذهب مثنى فى النهر ، وكذلك تأتى الأحداث لتجرف حياتنا مرة بعد مرة .

أحنِ رأسك ، أيها البهاء المشتعل لليلة أو ليلتين .

سيأتى البستانى مرتديًا ملابس بيضاء ويجمع الزهور الميتة يا ياسمين .

تعالى الآن ، ونامى أولاً يا حبيبتى يا ياسمين !

غنى بكل بساطة كيف أحببتنى . بينى جمالك جزءًا جزءًا – ثم أحضرى ، آه ، حبيبك الجديد – اسخرى من شعرى ذى اللمسة القمرية ، وادعينى مغفلاً ، شيخًا مغفلاً ، أنا المغفل الكئيب !

ياسمين : لن أدعوكَ حسن المغفل . فحسن قد خارت

قواه لأنه لم يرد أن يترك النعيم والجاه .
حلوانى القصر يا حسن ربما يصبح أغنى تاجرً فى بغداد .

حسن : أنتِ بغية ، بغية ، بغية .

ياسمين : لماذا أنت غاضب ؟ بماذا أهنتكَ ؟

حسن : آه ، لو كنتِ عانيتِ ، أ عانيتِ ؟

ياسمين : (تنظر للبستان وتنسى حسن) : أخيرًا ، أخيرًا «عملية تنفيذ الموت المؤجل» سأراها .

(ضوء خلفى أحمر عميق ، ينير خلف الحديقة ، وتتحرك الظلال السوداء عبرها تجاه باب الديوان لعملية الموت المؤجل ، وأمرى كالتالى :-

مسرور شبه عارٍ بسيفه الأحدب .
أربعة من مُعَذِبين مساعدين يرتدون السواد معهم . آلات من الحديد .
رجلان فى دروع يحملان مجمرة مشتعلة .
موضوعة على عمودين بينهما شبكة .
أربعة رجال يحملون المخلعة .
رجل معه مطرقة وسوط .
نرفانا ورافع نصف عرايا يدفعان عربة تحمل

تابوتيهما . ترفل أرجلهما فى قيود ثقيلة .

خلف كل واحد منهما يمشى جندى شاهرًا سيفه .

مسرور ! يقرع باب الجناح ! يفتح العبيد الباب ، فيفرون فى رعب عند رؤيته . يتوهج فى الشبابيك ضوء المجمرة المشتعلة . الجنود الذين يحرسون نرفانا ورافع يفكون السلاسل التى تربطهما بالعربة . ويضعون أيديهما على أعناق المساجين الذين يدفعونهما . يظهر من الدار أربعة عبيد يوجههم رجل معه سوط ثم يرفعون التابوتين . أخيرًا يؤخذ حسن من قبل حارسيه ويجبر على الدخول . يتحول المسرح إلى ظلام مطلق ، عدا لمعان من ضوء الشبابيك . ترتفع فى صمت شرشرة النافورة و أزيز و دوران العجلة .

تختلط الأصوات . وتزداد بصورة غير محتملة ، وتعزف موسيقى هادئة .

صرخة ألم نصف مكتومة من آلة الكمان . أخيرًا يغمر البستان ضوء القمر الفضى . يظهر حسن عند باب الجناح بعد أن يدفعه حراسه هاتمًا

تعلو وجهه صفرة يترنح بضع خطوات ثم يسقط على الأرض مغشيًا عليه فى ظل النافورة . يظهر التابوتان مسمرين ، وموضوعين فى العربة . يدفع الجنود العربة فى مكان السجناء ، وما تبقى من التنفيذ يُرحل فى نظام عكسى . يتوانى مسرور لدى الباب مثبتة ياسمين بذراع مسرور)

ياسمين : مسرور - إنك الأسد يا مسرور !

مسرور : الله - يا امرأة !

ياسمين : أى رائحة دم تفوح منك !

مسرور : وأنتِ من الورد !

ياسمين : ضحكتُ من رؤيتهما ملتفين - ضحكت ، ضحكت وأنا أشاهدهما خلف الستارة .
لماذا امتصصت الدم من عروقه ؟

مسرور : نذر نذرته .

ياسمين : أستشرب دمى أيضًا ؟

مسرور : هل أضع يدى حولك ؟

ياسمين : يداكَ حائطان من الحجر الأسود اللامع وصدرك قلعة من الليل .

مسرور : أنتِ فراشة بيضاء صغيرة ، سأسحقها على صدرى .

ياسمين : (تصرخ من الرعب فجأة تقاوم ضمه لها لحظة بعد ذلك) آه ، دعنى أذهب ، اسمعهم ، اسمعهم ؟

مسرور : ماذا هناك لأسمعه إلا صخب الليل وضوضائه ؟

ياسمين : (تقفز بعيدًا) : الأزهار تتحدث البستان حى (تسقط) .

مسرور : (يقفز لحملها) : إنها تحب الدم وتخاف من القمر . إنها ناعمة وبيضاء سآخذها إلى البيت .

(يدخل إسحق يبحث عن حسن)

إسحق : حسن أين تنام ؟ حسن ، يا حسن .

لقد كسرت هذا القلب الرقيق ، يا هارون ، وأنا قد حطمت عودى . لن أعزف ثانية لك .

آه ، لماذا لم يخبرونى فى الحال - أخاف أن يذهب عقله قبل أن أجده .

ربما يكون متجولاً فى الشوارع الليلة كأنه الموت وعينيه ملأى بالدموع .

حسن ، آه يا حسن ! إنه هو ، إنه بمجرد أن رأيته لأول مرة ! تحت النافورة ، وجهه للقمر .

كانت حياته رتيبة متناغمة كأنها أغنية قد عادت إلى اللازمة القديمة التى كانت تكررها .

أتبدو الحياة مرآة تظهر فيها الأحداث مضاعفة ؟

حسن : (نصف مستيقظ من إغمائه) : الاوز الذى تحول إلى ضباب (والسلام) . . .

إسحق : (ينحنى فوقه ليرفعه) : صديقى ! إننى سعيد بسماع صوتك .

انهض ، انهض ، حالتك تستحق الشفقة .

حسن : (مغشيًا عليه) دعنى أنام . . . فهذا المكان هادئ ، والأرض تفوح منها رائحة البرودة .

ربما لا أنهض حتى يرفعوننى على متن تابوت ،

وسأبحر مع النهر ثم أخرج إلى البحر .

إسحق : إنك ما زلت حيًا ولن يؤلمك أحد ! عُذْ لرشدك وقاوم اليأس .

حسن : وفى ذلك البحر الا يوجد سمك أحمر . . .

إسحق : تعالَ إنهض ! كن شجاعًا ! أعرف أنكَ عانيت كثيرًا .

حسن : هى شجاعة . يدها ! يدها !

إسحق : لا تخبرنى بتلك الحكاية .

حسن : أنتَ شاعر . قطعوا رأس حبيبها وصبوا دمه فى عينيها .

إسحق : أصمتْ فأنت مسكون بالشياطين .
سأخبرك ، ليس ذلك حقيقة . توقف عن الأحلام !
انظر لعينى ! استمع !
(تُسمع الأجراس دون أن ترى الحديقة)
أتسمع لقد توجهت الإبل إلى « بوابة القمر » .
ستبدأ قافلة الصيف العظيمة فى منتصف الليل نحو الشمال الشرقى البعيد ، حيث بخارى المقدسة ، وسمرقند السعيدة .
إنه طريق أصفر كاصفرار شاطئ البحر اللامع :-
ولذلك فإن الحجاج يسمونها « الرحلة الذهبية »

حسن : وماذا فى ذلك بالنسبة لى أو لك ، « الرحلة الذهبية » إلى سمر قند ؟

إسحق : سأغادر مدينة العبيد ، بغداد هذه مدينة الفسق .
لقد كسرت عودى ولن أكتب قصائد أخرى فى مدح كرم الملوك .
سأجرب الطرق الجرداء وأستمع لصوت فضاء الأرض وأنت ستمشى بجانبى .

حسن : أنا ؟

إسحق : انهض وثق بى مرة لأرشدك إلى طريقك .

حسن : (ينهض بمساعدة إسحق) : لماذا أنقذتنى من الموت الذى أرغبه ؟
ماذا بقى لكَ ولىَ ولأى إنسان يعيش ؟
لماذا تضطرنى وكأنك القدر لأعيش ؟

إسحق : لأننى صديقك وأحتاجك .

حسن : آه ، إسحق أيها المغنى !

إسحق : استعد للسفر !

حسن : ليس لدى متاع .

إسحق : أيها المسافرّ المسافر حقيقة ! لدى دنانير ذهبية : ستتزود بالمتاع عند البوابة ، ونغير حرير الدعة والكسل إلى شَعر الإبل للكدح والكد ولكن ألا يوجد شئ فى منزلك لتأخذه ، ولا شئ واحد ؟

حسن : (فى رعب عظيم) : فى داخل هذا الباب لا شئ .
لدى سجادة واحدة لم تزل فى دكانى . أزهارها لطيفة لم يلوثها هذا الزنجى . ولكنى لا أجرؤ أن أبحث عنها .

إسحق : سأحضرها لك . ستفترشها فى الصحراء لتؤدى عليها الصلاة ، وستكون روضة صغيرة فى يباب الرمال .

حسن : (يمسك إسحق فى رعب مفاجئ) : اقترب منى ! لا تتركنى ! فالليل يزداد وحشة !

إسحق : ارجع لرشدك ! إنها كل النجوم والقمر والسلام الخالص .

حسن : الأشجار تتحرك بلا رياح . . . الأزهار تتحدث . . . النجوم تكبر . . .

إسحق : اهدأ

(النافورة تصب دمًا)

حسن : النافورة ! النافورة !

إسحق : آه ، يا حسرتاه ! إنها تصب دمًا ابتعد

حسن : البستان حى يتحرك !

إسحق : ابتعد إنها تتحول إلى شبح ! ابتعد ! ابتعد ! اتبع الأجراس !

(ينبعث شبح فنان النافورة من النافورة نفسها ، فى ثياب بيزنطية شاحبة)

شبح النافورة : الحديقة للأشباح . تقدم يا أخى الجديد وتقدمى يا أختى الجديدة تقدما لانه بقى كثير من التأثير الأرضى الثقيل عليكما - تقدما لتتحدثا وتتزينا . تعاليا وهؤلاء القدامى ، سيرقصون مع القادمين .

شبح رافع : (بصوت رفيع ، وملابسه والقيود المكسرة من رافع لكنه شاحب كالموتى) :
أنحن هنا يا شبح النافورة .

شبح النافورة : مرحبًا بك أنتَ وفتاتكِ البيضاء بين هؤلاء الأشباح . تجول كما تحب . فإننى قد أَفزعت وأَخفتَ ذوى اللحم والشحم .

شبح رافع : كيف فَزعَا هما الاثنان معًا ؟

شبح النافورة : عندما تحول الماء من اللون الأبيض إلى الأحمر تحول وجهاهما من اللون الأحمر إلى اللون البنى ففرا هاربين !
شبح مختبئ فى الشجرة : ها ! ها !

شبح نرفانا : أخبرنا ، يا رجل النافورة ، ماذا سنفعل ؟

شبح النافورة : لا شئ أنتِ ميتة .

شبح نرفانا : أسنبقى فى هذه الحديقة ونظل أحبابًا ، ونطير فى الهواء ونرفرف بين أوراق الشجر ؟

شبح النافورة : طالما تذكرتِ ما قد عانيتِ ستبقين من الدار التى أريق فيها دمكِ .

شبح نرفانا : أتتذكر عشرة آلاف سنة !

شبح النافورة : نسيتُ أنك روح ! وذكريات الأموات أخفُ من أحلامهم .

شبح نرفانا : ولكنك بقيت هنا فى النافورة .

شبح النافورة : لقد صنعتُ تلك النافورة !

فماذا صنعتِ أنتِ فى عالم الدنيا ؟

شبح نرفانا : لا شئ ولكنها قصة حياتنا .

شبح النافورة : إن ذلك لن ينقذك . لقد كنت روحًا حتى فى الحياة .

لقد رأيتها فى ظلال عينيك العظيمة . ولكننى اهتممت فقط بما هو على الأرض .

لقد أحببت عروق أوراق الشجر ، وأشكال الحيوانات الزاحفة والمستنقعات التى فى الطريق و ملمس الأخشاب والأشجار .

عرفت أشكال الأشياء بصورة جيدة جدًا ، ولذلك كان تمثالى هو الأحس فى العالم .

ولا تزال روحة ثقيلة من ذكريات الأرض وأنا فى عالم الحب .

أ أطمع فى رؤية ما خلف القمر .

شبح نرفانا : ربما بقينا معًا ؟

ألا أستطيع أن ألمس ظل شفتيه وأسمع همس حبه ؟

أ يطردوننا من هنا يا شبح النافورة ؟

شبح النافورة : كيف لى أن اعرف أ أستطيع أن أتنبأ ؟
شبح نرفانا : أنت ، أيضًا ، لا تستطيع أن تتنبأ .
ولكن ما الجنة ، وما الخلود ، وما النجوم ،
ومن نحن ؟
شبح النافورة : ليس المسئول بأعلم من السائل .
شبح نرفانا : أما زال السر سرًا والوجود أشد ظلامًا من الماضى ؟
شبح النافورة : أكنتِ تأملين فى الوحى ؟
لماذا يجب أن يكون الأموات أكثر حكمة من
الأحياء ؟
الموتى فقط هم الذين يعرفون ذلك وكان من
الأفضل أن تكونى على قيد الحياة .
شبح نرفانا : ولكننا لن نشعر بأى آلام أخرى يارافع !
شبح النافورة : ولكنكما ستشعران ببرد أكثر .
شبح نرفانا : مع نار الحب التى فينا ؟
شبح النافورة : ستنسين ذلك عندما تهب .
شبح نرفانا : أنسى ! رافع ! رافع ! رافع أيمكن أن ينسى
كلانا الآخر يا رافع ؟
شبح رافع : (فى صوتٍ حفيض مثل الصدى) : انسى . . .
رافع . . .
شبح النافورة : ستنسين عندما تهب الريح العاصف ، ستبعدين

وترتبطين بعشرة ملايين أخرى مثل قطرات على
موجة هواء .

شبح نرفانا : ثمة إيمان بداخلي يخبرني أنني لن أنسى حبيبي
مهما حدث وإلى أين ستأخذنا الرياح ؟

شبح النافورة : ماذا أعرف أو ماذا يعرفون ؟ انني أعرف فقط
أنها ستهب .

شبح نرفانا : كيف عرفت أمر تلك الرياح ؟

شبح النافورة : لأنها تهب من خلال الحديقة ، وتسوق الأرواح
معها .

شبح نرفانا : أي أرواح ؟

شبح النافورة : أرواح الأطفال الذين لم يولدوا التي تعيش في
الأزهار .

شبح نرفانا : وكيف عرفت طريق العشرة ملايين روح .

شبح النافورة : تلك الأرواح تمر مثل المذنب ، عبر سماوات
متنصف الليل .

شبح نرفانا : لا ترعبني الأشباح .
ولكن ماذا عن العدل والعقاب والرغبة وماذا عن
الحبيب في « بستان الحب »

شبح النافورة : سَلِ الريح !

شبح النافورة : ستكون الإجابة ! أنني أعرف أنني سأجد حبيبي

في « بستان السلام »

أصوات : وماذا عن الحياة ؟

شبح نرفانا : من يسأل ! ماذا عن الحياة ؟

شبح النافورة : أرواح هؤلاء الذين سيولدون قريبًا .

الأصوات : لقد غادرنا الأزهار . عرفنا أننا سنولد حالاً .
ماذا عن الحياة أيها الأموات ؟

شبح نرفانا : (٠. خة قوية) : لماذا الحياة جميلة ، يا أطفالى !
(تبدأ أوراق الأشجار فى الاهتزاز)

شبح النافورة : استمعى للأشجار .
(يختفى الشبح)

شبح نرفانا : آه ، إننى أحس ببرودة شديدة - أشعر بالبرد يا حبيبى !

شبح رافع : (باهت جدًا ولا يرى إلا بصعوبة) : البرد . . . البرد .

شبح نرفانا : تحدث إلى يا رافع ، تحدث إلىّ يا رافع .

شبح رافع : رافع ! رافع ! من رافع ؟

شبح نرفانا : تحدث إلى حبيبتك - حبيبتك - حبيبتك .

شبح رافع : البرد . . . البرد . . . البرد .
(تكنس الرياحُ الأشباح من الحديقة ، وتبدو أنها تقرع بشدة أجراس القافلة)

المشهد الثانى

(بغداد . عند بوابة القمر ، تجار ، حُداة العيس ، ومواشيهم مسافرون ، يهود ونساء من كل الأنواع . البوابة المزودة بمزلاج يقف لديها بواب ومعه مفتاح كبير . بين المسافرين حسن ، وإسحق فى ملابس السفر)

التجار : (معًا) :

بَيْنٌ ونحن يا أيها الناس جاهزون
تستنشق إبلنا عبق المساء وهى سعيدة
سِرْ يا أمير القافلة
سيروا يا أمراء بغداد الفريدة

رئيس تجار الملابس :

أليس لدينا سجاد هندى فى حمرة الخمر القانية
وعمائم وأوسمة وعباءات شراك
ومطرزّات ذات تصميم دقيق بديع
وستائر كثيرة رسمتْ كمدارات أفلاك ؟

رئيس البقالين :

لدينا حلوى الورد والناردين
والمُصْطفى والبُطُم والزيت والتوابل
مربى جيدة معبأة فى برطمانات

كالتى يأكلها فى الجنة الصالحون العدول
لدينا مخطوطات تزينها رسوم الطواويس
لعلى الدمشقى ! لدينا سيوف صواقل
منقوش عليها طيور اللقلق والقرد والتمساح
وعقود ثقيلة ضُربتْ لأمراء بواسل

أمير القافلة : ما أنتم بشئ إلا مجموعة من اليهود
زعيم اليهود : لو كان لدى الكلاب بصيرة فإننا سندفع لها .
أمير القافلة : ولكنكم فى أسمالٍ بالية ونعال ممزقةٍ ،
ولِحَاكُم متسخة ، أتسدون الطريق ؟
إسحق : مولاى ، إننا على سفر نضرب
فى فيافيها وفى الفجاج
ربما وراء جبل أزرق
بعيد تكسو أعاليه الثلوج
من خلال ذلك البحر
الهائج المتلاطم الأمواج
وعلى عرشه بياض
محروس فى كهوف العاج
نام فيه العرافون أولو
العقول والفهم الناضج

ولهذا السبب وُلِدَ الناس ومن
شجاعتنا سنسلك طريق الذهب إلى سمرقند

رئيس التجار : سنقرض مسمار السرعة . يا سيدى إلى ما هو أبعد !

واحدة من النساء : آه انظر إلى حيث ينظر أطفالك
أليست بغداد جميلة فابقوا فيها !

التجار : (فى كورال) : سنسلك طريق الذهب إلى سمرقند

شيخ كبير : أليس معكم فتيات وأكاليل من الزهور فى منازلكم ؟
وخصيان وغلمان شوام طوع أمرككم ؟
لا تبحث عن المزيد ! فالله يكره الطماعين

التجار : (فى كورال) : سنسلك طريق الذهب إلى سمرقند .

حسن : جميل أن تتحرك القافلة إلى الأمام مساءً من عند الآبار عندما تتحرك الظلال على الرمال .
ناعمة فى صمتها الذى يدق الأجراس
على طريق الذهب إلى سمر قند

إسحق : لن نسافر فى الزحام فرادى
مع الرياح الأكثر حرارة لأن قلوبنا الملتهبة تبرد

لمتعة معرفة المجهول
سنسلك طريق الذهب إلى سمرقند

أمير القافلة : افتح البوابة يا حارس الليل !

حارس الليل : أيها المسافرون قد فتحت إلى أى أرضٍ أنتم ذاهبون أتتركون مدينة المتعة ذات القمر المظلم ؟

التجار : (فى صياح) : سنسلك طريق الذهب إلى سمرقند .

(تمر القافلة خلال البوابة)

حارس الليل : (مستشيرًا النساء) :
ماذا ستفعلن أيتها السيدات حتى ولو كان كذلك .
فالرجال حمقى ويتصرفون بلا عقل
امرأة : لهم أحلامهم ولا يفكرون فينا
(حارس الليل يغلق البوابة)

صوت من القافلة :(غناء من بعيد) :
سنسلك طريق الذهب

ستار

المحتوى

صدر من آفاق عالمية

١ - تنبؤات

شعر : بيفر / زجراجن

ترجمة : د. يسرى خميس

يوليو ٢٠٠١

٢ - اعتراف منتصف الليل

رواية : چورچ ديهامل

تعريب : د. شكرى عياد

أغسطس ٢٠٠١

٣ - الزيتونة والسنديانة

نصوص شعرية مترجمة ودراسة عن الشاعر :

عادل قرشولى

د. عبد الغفار مكاوى

سبتمبر ٢٠٠١

٤ - بلبل واحد لا يصنع ربيعا

مختارات من القصة العالمية

ترجمة د. حمادة إبراهيم

أكتوبر ٢٠٠١

٥ - شراك القدر

مسرحية : أنطونيو بوريو بييخو

ترجمة : د. طلعت شاهين

نوفمبر ٢٠٠١

٦ - الأرض الخراب وقصائد أخرى

شعر : ت . س . إليوت

ترجمة : د. لويس عوض

تقديم : د. ماهر شفيق فريد

ديسمبر ٢٠٠١

٧ - فى البحث عن ڤاليرى (رواية)

تأليف : ليج مايكلز

ترجمة : مى رفعت سلطان

يناير ٢٠٠٢

٨ - زديج أو القضاء (قصة شرقية)

تأليف : ڤولتير

ترجمة : د. طه حسين

تقديم : نبيل فرج

فبراير ٢٠٠٢

٩ - قصائد امرأة سوداء بدينة

شعر : جريس نيكولز

ترجمة : نانسى سمير

مارس ٢٠٠٢

١٠ - عاشق من مونت كارلو (مختارات قصصية)

تعريب وتقديم : عبد القادر حميدة

إبريل ٢٠٠٢

١١ - الحب والأسى (مسرحية صينية)

تأليف : (باى فنجكس)

ترجمة وتقديم : سمير عبد ربه

مايو ٢٠٠٢

١٢ - ذلك العالم المدهش

(حوارات مع كتاب عالميين)

ترجمة وتقديم : حسين عيد

يونيو ٢٠٠٢

١٣ - شعر السبعينيات فى إسبانيا (دراسة ومختارات مترجمة)

د. حامد أبو أحمد

يوليو ٢٠٠٢

١٤ - المسرح الهندى (التراث والتواصل والتغير)
تأليف : د. نيميتشاندا جين
ترجمة : د. مصطفى يوسف منصور
مراجعة : أ.د. منى أبو سنة
أغسطس ٢٠٠٢

١٥ - مختارات من روائع المسرح العالمى
ترجمة وتقديم د. نعيم عطية
سبتمبر ٢٠٠٢

١٦ - الأغنية الأخيرة
مختارات من الشعر الصينى
تأليف : تشانج شيانج - هو
ترجمة : زكريا محمد
أكتوبر ٢٠٠٢

١٧ - أفضل صديقاتى (مختارات من القصة العالمية)
ترجمة : مفــرح كريم
نوفمبر ٢٠٠٢

١٨ - **الطاغية (ومسرحيات أخرى)**
ترجمة د. جمال عبد الناصر
ديسمبر ٢٠٠٢

١٩ - **يقظة امرأة (رواية)**
تأليف : كيت شوبان
ترجمة : د. أحمد الشيمى
يناير ٢٠٠٣

٢٠ - **مختارات من حكايات الشعوب**
ترجمة وتقديم : رأفت الدويرى
فبراير ٢٠٠٣

٢١ - **خمس مسرحيات نو حديثة**
تأليف : يوكيو ميشيما
ترجمة : عبد الغنى داود
: أحمد عبد الفتاح
مارس ٢٠٠٣

٢٢ - سر بين اثنين

(مختارات من القصة القصيرة العالمية)

ترجمة : محمد رجب

أبريل ٢٠٠٣

٢٣ - ملحمة جلجاميش

ترجمها عن الألمانية : د. عبد الغفار مكاوى

راجعها على الأكدية : د. عونى عبد الرءوف

مايو ٢٠٠٣

٢٤ - شعراء وقصائد

باقة من بستان الشعر اليونانى الحديث

ترجمة عن اليونانية ودراسات : د. نعيم عطية

يونية ٢٠٠٣

٢٥ - فى الحب والحرية والمقاومة

مختارات من الشعر العالمى

ترجمة وتقديم : د. حسن فتح الباب

يوليو ٢٠٠٣

آفاق
عالمية

مسرحية مستوحاة من « ألف ليلة وليلة » وخاصة حكاية الحمال والثلاث بنات ، وتجرى أحداثها فى بغداد ، وقد كتبها « فليكر » بعد أن فتنته ترجمة « ماردروس » الفرنسية لليالى ونشرت فى عام ١٩٢٢ ، والنص مكتوب بلغة شعرية عذبة تناسب البناء الفنى البسيط لعمل مسرحى يتسق مع الحكايات الشعبية .

چيمس الروى فليك (١٨٨٤ - ١٩١٥) شاعر وكاتب ... فى أكسفورد ثم درس ... فى كمبردج والتحق با... البريطانى ، (١٩١٠ ... القسطنطينية (اسطنب... وسميرنا (أزمير الآن)





الثمن: جنيهان

الشركة الدولية للطباعة